الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

رقم التسجيل: **20044026719**

الموضوع

الحرف والصنائع في الغرب الإسلامي أثناء العصر الوسيط من منظور النخبة

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصص: تاريخ إسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبة:

- ربيعة بوقرة

- أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

- د/	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	رئيسا
- د/ عبد السلام همال	أستاذ محاضر"أ"	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
- د/	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	عضوا

السنة الجامعية: 2021-2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[سورة النمل، الآية: 19]

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ومهما حمدناه لن نستوف حمده وافتداء بقول الرسول الكريم :

من لم يشكر الناس لم يشكر الله.صدق رسول الله

أتقدم بالشكر الجزيل وأخلص التقدير إلى الأستاذ المشرف: "عبد السلام هماك" الذي كان لي سندا

وعونا في إنجاز هذا العمل المتواضع.

وإلى اللجنة المناقشة التي تكبدت عناء قراءة بحثنا وبيان نواقصه والإرشاد إلى إكماله

وإلى كل من زرعوا التفاؤل في دربنا وقدموا لنا المساعدات والتسهيلات

وإلى جميع عمال طاقم مكتبة البيان وعلى رأسهم الأخ "فرحات إسماعيل"

ولا يفوتني تقديم تشكراتي إلى كل من مد لي يد المساعدة من قريب كان أم من بعيد

الإهداء

ربما الكلمات لا تسعني للإهداء، لكن أهدي عملي المتواضع هذا إلى نفسي التي كافحت حتى الرمق الأخير ثم إلى التي وضعتني وجعلتني أرى الدنيا وعلمتني أن أواصل الكفاح حتى آخر نفس لي إلى أمي الغالية رحمها الله

أهدي هذا إلى التي رباني وعلمني مبادئ والأخلاق التي أنا عليها الآن والدتي سأواصل المشوار بها أبي الغالي رحمه الله

إلى أخوي "فواز وهشام" اللذين تعلمت منهم القوة والتحمل والصبر على الأشياء حفظهم الله

إلى أصحاب القلوب الطيبة والنوايا الصادقة أخواتي حفظهم الله

وإلى مدللتنا الصغيرة "أفنان" وإلى أختها "سجود"

وإلى عصفور البيت "غيث" وإلى ابن أخي "إياد"

إلى المشاغبين: "محمد، زينب، براء، إسراء"

إلى كل من أحب لي الخير يوما

إلى كل من دخل حياتي وترك أثرا طيبا

أهدي لهم كثرة جهدي هذا العمل المتواضع

ربيعة

قائمة المختصرات والرموز

الرمز	المعنى
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعليق
تق	تقديم
ج	جزء
د.ط	دون طبعة
د.م	دون مكان
ط	طبعة
ع	عدد
م	ميلادي
هـ	هجري
ص	صفحة
مج	مجلد

مقدمة

تعتبر الحرف والصنائع مظهرا من مظاهر الحضارة، وترتبط بالحياة اليومية لأي مجتمع، وتشكل أهم مقومات الشعوب، لأنّها المرآة العاكسة التّي تعبر عن هويتها وثقافتها وأصالتها، حيث ساهمت في تطور الحضارة الإنسانية منذ العصور البدائية حينما كان الإنسان يصارع الحياة من أجل البقاء، حيث بدأ يشكل أدوات تساعده في تلبية الحاجات الضرورية لحياته اليومية، وانبثقت الحرف والصنائع من البيئة المحلية لتشمل بيئات أخرى، ثم تحولت هذه الصناعات البسيطة إلى منتجات حرفية ازدهرت وانتشرت لتظهر الصنائع التّي استعملت فيها مختلف الأدوات التّي تطورت مع تطور الحضارات الإنسانية، ويزخر الغرب الإسلامي بفسيفساء رائعة من الحرف والصنائع تتوزع عبر مختلف الحواضر.

إنّ دراسة موضوع الصنائع والحرف من الناحية التاريخية والمعرفية، من الأعمال الإنسانية العريقة ارتبطت بظهور الإنسان وحاجته إلى العمل لأهميته، لذا حث دين الإسلامي على العمل وقدسه في عديد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وأكد على حرمته، وجعل من الإنتاج عبادة وتقربا لله بل جهادا في سبيله.

ودراسة هذا الموضوع يعد ثراء مهما لتاريخ الغرب الإسلامي كظاهرة اقتصادية واجتماعية، إذ استقينا من مختلف الكتب معلومات قيمة، تساعدنا على الكشف عن بعض الخصائص الاقتصادية لمنطقة الغرب الإسلامي، وهذه الدراسة تجاوزت الجانب الاقتصادي إلى الجوانب، فظهرت فئة النخبة التّي تباينت نظرتها وآراؤها اتجاه الحرف والحرفيين وكذا الصنائع المختلفة بالتي كانت منتشرة فير شتى حواضر الغرب الإسلامي.

ويمكننا إبراز تلك الحرف والصنائع في الغرب الإسلامي أثناء العصر الوسيط من خلال كتب الحسبة والنوازل والفقه وكتب الجغرافيا والرحلات، أو بالاعتماد على المصادر التاريخية التّي نستقي منها المادة العلمية التّي تخدم الموضوع.

- دواعي اختيار الموضوع:

لقد تجمعت لدي عدة أسباب ودوافع حفزتني إلى اختيار والخوض في دراسة مثل هذه الموضوعات أبرزها:

- الأهمية التّي تشغلها أو تلعبها الحرف والصنائع في تاريخ الغرب الإسلامي خاصة والمجتمعات البشرية بصفة عامة، إذ أنّها تعبر عن ثقافة وأصالة وتاريخ أي مجتمع.

- ميولي ورغبتي في فتح الباب على مثل هذه الموضوعات ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي، بعيدا عن الخوض في المواضع السياسية.

- معظم الأبحاث السابقة تكون مواضيعها تخوض في الغالب الجانب السياسي.

- تكشف الحرف والصنائع عن خصائص المنطقة ومميزاتها.

- استنباط العلاقة القائمة بين الساكنة وشتى الحرف والصنائع التّي مارسوها عبر فترات العصر الوسيط وغيرها.

- الإشكالية:

أما عن الإشكالية التّي قمنا بمعالجتها من خلال هذه الدراسة:

- فيما يتمثل النشاط الحرفي والصناعي في بلاد الغرب الإسلامي أثناء العصر الوسيط؟ وكيف كانت نظرة النخبة لهؤلاء الحرفيين والصناع؟

وتندرج ضمن هذه الإشكالية تساؤلات فرعية وهي:

- ما المقصود بالحرفة، والصناعة، والنخبة؟

- ما هي أهم الحرف والصنائع التّي كانت سائدة في بلاد بالغرب الإسلامي أثناء العصر الوسيط؟

- كيف كانت نظرة كلمن الفقهاء والمتصوفة للحرفيين والصناع؟

- ماذا عن نظرة الأدباء والمفكرين والمؤرخين؟

- ما هي المواد الخام التّي كانت متوفرة في بلاد الغرب الإسلامي؟ وهل كانت تخدم الصنائع والحرف؟

- كيف كانت نظرة النخبة مع ظهور الإسلام؟
- ما هي أهمية الحرف والصنائع في الغرب الإسلامي؟

- المنهج المعتمد:

لفتح الأبواب والخوض في دراسة هذا الموضوع "الحرف والصنائع في الغرب الإسلامي من منظور النخبة في العصر الوسيط" اتبعت المنهج التاريخي التحليل، وذلك بالرجوع إلى المصادر والمراجع التاريخية والمقالات والمجلات والمصادر الجغرافية، والرسائل الجامعية التّي تناولت الموضوع، ولأنّه الأنسب لدراسة هذا الموضوع.

- خطة البحث:

للإجابة على الإشكالية والأسئلة المنبثقة عنها، وبالاستعانة بالمادة العلمية المستقاة، وأيضا طبعة الموضوع ومتطلباته، ارتأيت أن أضمن موضوعي بفصل تمهيدي وفصلين مكملين له بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة، ومنه لكانت خطة البحث كالتالي:

- مقدمة: تناولت فيها شرح محتوى الموضوع من كل جوانبه.
- الفصل التمهيدي: طرحت فيه المصطلحات الدالة في البحث وعرفتها اصطلاحا ولغة، وتطرقت إلى نشأة الحرف وانتماؤها.
- الفصل الأول: الحرف والصنائع في الغرب الإسلامي ومقوماتها
    - o المبحث الأول: نظرة الإسلام للحرف والصنائع
    - o المبحث الثاني: الحرف والصنائع في مصنفات كتب الغرب الإسلامي (ابن خلدون أنموذجا)
    - o المبحث الثالث: المقومات الحرفية والصناعية بالغرب الإسلامي
- الفصل الثاني: الحرف والصنائع ومكانتها لدى النخبة
    - o المبحث الأول: النخبة العالمة (الفقهاء)
    - o المبحث الثاني: النخبة الصوفية (المتصوفة)
    - المبحث الثالث: الحرف لدى الأدباء والمفكرين وبعض المؤرخين.

- عرض المصادر والمراجع:

أما عن أهم المصادر والمراجع التّي اعتمدنا عليها في الدراسة هي كما يلي:

أولا- المصادر:

- عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي (ت 808هـ-1340م): "المقدمة"، فهو من المصادر التّي لا يمكن الاستغناء عنها، واعتمدنا عليه في شتى الفصول، إذ تطرق في مختلف أجزائه إلى الحرف والصنائع وخصص الجزء الخامس منه للصنائع.
- علي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي (ت741هـ-1340م): "الأنيس المغرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس"، استقينا منه المادة العلمية فيما يخص بعض مقومات الصناعة المتمثلة في المواد الأولية.

- كتب الفقه والنوازل:

- أبو العباس أحمد يحي الونشريسي (ت 914هـ-1508م): "المعيار المغرب والجامع المغرب في فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب"، وأفادنا كثيرا من خلال نوازله التّي تحدث فيها عن الحرف وانتشارها في بلاد المغرب الإسلامي.

- كتب الجغرافيا والرحلات:

- أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت 386هـ-900م): "صورة الأرض"، أفادنا في إبراز بعض المعادن المتوفرة في بلاد الغرب الإسلامي.

- كتب المعاجم:

- إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 398هـ-1007م): "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة.
- ابن منظور (ت 711هـ-1311م): لسان العرب".

ثانيا- المراجع

- عز الدين أحمد موسى: "النشاط بالاقتصادي في الغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري"، الذّي اعتمدنا عليه في تحديد أهم الحرف والصنائع.
- محمود هدية: "اقتصاد النسيج في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

- الرسائل الجامعية:

- رشيد أحمير علي جمعي: طبقات المجتمع في المغرب الإسلامي خلال عصر المرابطين (448-541هـ/1056-1147م)، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الوسيط (الإسلامي)، يعد من أهم المصادر المعتمد عليها لإبراز وتوضح نظرة المجتمع الإسلامي للحرف والصنائع.

- يخلف أسماء: تنظيم ومراقبة مجال الحرف والأسواق داخل مدن الغرب الإسلامي من خلال كتب الفقه والنوازل والحسبة ما بين(القرن 3هـ-9م إلى 9هـ-15م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط، اعتمد عليها في استخراج بعض الحرف التّي كانت متواجدة في بلاد الغرب الإسلامي.

- الصعوبات:

لا يخفى على أي باحث يخوض في دراسة موضوع ما أنّه تعترضه مجموعة من العوائق والصعوبات التّي تحول دون الإلمام بموضوعه أحيانا، أو يغفل عن أمور كثيرة، وأبرز تلك العوائق هي:

- تشابه المادة العلمية، وتشتتها في بطون أمهات الكتب وعلى اختلاف أنواعها، إذ يستلزم ذلك على الباحث الإحاطة بمختلف الكتب بالتاريخية والجغرافية والفقهية.

- قلة المادة العلمية التّي تخدم الموضوع في المصادر التاريخية مما فرض علينا الاستعانة بالكتب الجغرافية وكتب الرحلات وغيرها.

- صعوبة التوسع والتحليل في الموضوع.

وبالرغم من هذه الصعوبات والعراقيل، إلا أنني حاولت جاهدة التغلب عليها والاستمرار في الاجتهاد والعمل، بالى أن يخرج إلى النور في أحسن حلة له، وأسأل الله العلي العظيم التوفيق والسداد لي وللجميع.

وبعد إتمامي لهذا العمل، بأحمد الله عز وجل حمدا كثيرا الذّي وفقني لإنجاز هذا البحث وإتمامه حسب طاقتي وقدراتي، إذ حاولت وسعيت لدراسة أو التطرق لدراسة

الجانب الاقتصادي لمنطقة الغرب الإسلامي في المجال الحرفي والصناعي، وإماطة اللثام عن أهم وأبرز جانب كان له دور كبير ومهم في تطوير اقتصاد عدة مجتمعات إلا أنّه لم يحظ بالاهتمام مقارنة بغيره من المواضيع ذات الطابع السياسي والعسكري.

الفصل التمهيدي

الحرف والصنائع، والنخبة (المصطلح والدلالة)، النشأة والإنتماء

المبحث الأول: تعريف الحرفة

المبحث الثاني: تعريف الصناعة

المبحث الثالث: النخبة

تعد الحرف والصنائع ركيزة أساسية من الركائز الاقتصادية والاجتماعية، حيث كانت ولازالت تلبي حاجات الطبيعة والأساسية للإنسان، وتعتبر عنصر فعال بمساهمتها في تطوير عجلة الاقتصاد، وذلك عن طريق تبادل مختلف السلع والبضائع بين حواضر العالم الإسلامي.

ويعتبر ابن خلدون عبد الرحمن من الأوائل الذين وجهوا اهتمامهم إلى الحرف والصنائع وخصص لها بابا كاملا سماه بـ"المعاش، ووجوه من الخياطة والفلاحة والتجارة" حيث قال: "اعلم أن الصنائع في النوع الإنساني كثيرة، لكثرة الأعمال المتداولة في العمران".

كما خصص أيضا في المقدمة الباب الخامس سماه في (معاش ووجوهه من الكسب والصنائع، وما يعرض في ذلك كله من الأحوال)، وفيه مسائل، حيث قال: "اعلم أن الإنسان مفتقر بالطبع إلى ما يقوته ويمونه في حالاته وأطواره، من لدن نشوئه إلى أشده إلى قبره، فالإنسان متى اقتدر على نفسه تجاوز طور الضعف، سعى في اقتناء المكاسب، لينفق ما آتاه الله منها، في تحصيل حاجاته وضروراته بدافع الأعراض عنها، قال الله تعالى: ﴿**فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ**﴾، وقد يحصل له في ذلك بغير سعي، كالمطر المصلح للزراعة وأمثاله، وإلا أنّها إنما تكون معينة، ولابد من سعيه معها، فتكون له تلك المكاسب معاشا إن كانت بمقدار الضرورة والحاجة.

وأشار في الفصل السادس إلى أهمية الصنائع بقوله: "اعلم أنّ الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري، وبكونه عمليا هو جسما محسوس، والأحوال الجسمانية المحسوسة، نقلها بالمباشرة أو عب لها وأكمل، لأنّ المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة اتم فائدة، والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفصل وتكرره مرة بعد أخرى، حتى ترسخ صورته، وعلى نسبة الأصل تكون الملكة، وعلى قدر جودة التعليم وملكة المعلم يكون حذق المتعلم وحصول ملكته.

وبناء على ذلك نتطرق إلى ضبط المفاهيم المتعلقة بالحرفة، الصنائع، النخبة كالآتي:

المبحث الأول: تعريف الحرفة

1- لغة:

هناك عديد التعريفات اللغوية لمصطلح الحرفة، فهناك من عرفها على أنّها:

- جاء في تاج العروس: الحِرفة بالكسر، الطعمة والصناعة التّي يسترزق منها، وهي جملة الكسب، ومنها ما يروى عن علي رضي الله عنه قوله: "إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول هل له حرفة، فإن قالوا لا سقط من عيني"، وهي كل ما اشتغل الإنسان به، ورضي به، أي امر كان، فأنّه عن العرب يسمى صنعة وحرفة...ويقولون: فلان يعمل كذا وحرفة فلان أن يفعل كذا، يريدون دأبه وديدنه لأنّه ينحرف إليها أي يميل إليها.[1]

- والحرفة في اللغة اسم من الاحتراف، وهو الاكتساب، يقال: هو يحرف لعياله ويحترف بمعنى: يكتسب من هنا وهنا.[2]

- وورد في المعجم الوسيط، الحرفة وسيلة الكسب من زراعة وصناعة وتجارة وغيرها، يقال: حرفته أن يفعل كذا: دأبه وديدنه.[3]

ورد في معجم مقاييس اللغة:

- حرف: الحاء والراء والفاء ثلاثة أصول: حد الشيء والعدول، وتقدير الشيء.

- والمحراف، حديد يقدر بها الجراحات عند العلاج، قال:

إذا الطبيب بمحرافيه عالجها زادت على النقر أو تحريكها ضجما

---

[1] الزبيدي: محي الدين أبي الفيض السيد مرتضى الحسيني الواسطي، تاج العروس من جواهر القاموس، طبعة القاهرة، 1306هـ، مج6، ص69؛ هدى محمدي السيد عبد الفتاح، معجم مصطلحات الحرف والفنون في كتاب تخريج الدلالات السمعية، ط1، بلنسية للنشر والتوزيع، 2008، ص42-43.

[2] جهاد غالب مصطفى الزغلول، الحرف والصناعات منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، رسالة ماجستير في التاريخ، الجامعة الأردنية، 1994، ص31.

[3] إبراهيم مصطفى- أحمد حسن الزيات، المعجم الوسيط، اسطنبول، 1989، ص168.

وزعم ناس أنّ المحارف من هذا، كأنه قدر عليه رزقه، كما تقدر الجراحة بالمحراف، ومن هذا الباب فلان يحرف لعياله، أي يكسب...، وهو من حرث أو كسب وجمع، وربما قالوا: أحرافا فلانا إطرافا، إذا نما ماله وصلح، وفلان حريف أي كسب.[1]

- وردت في المحكم حرف لأهله يحرف: كسب واحتال، والاسم: الحرفة، وفي الصحاح: والحرفة بالكسر، وقال الأصمعي: هو يحرف لعياله: يكسب من هاهنا وهاهنا، مثل: يغرف، وفي المحكم الاحتراف: الاكتساب أيا كان.

المحترف: الصانع وحرفة الرجل: صنيعته أو صنعته.

في الصحاح، أحرف الرجل فهو محرف، إذا نمى ماله وصلح، يقال: بالحلق والإحراف، إذا جاء بالمال الكثير.[2]

والحرفة أيضا هي: الصنعة يسترزق منها، وكل ما اشتغل به الإنسان فيسمى حرفة وصنعة لأنّه ينحرف إليها ويميل ويتقنها.[3]

والحرفي: الشخص الذّي يكسب عيشه بالعمل في حرفة بصفة مستمرة ومنتظمة.[4]

ولقد ورد مصطلح الحرفة والصنعة في مصادر أدبية مختلفة بصيغة متعددة: بالصناع، الصنعة، الحرفة، الاحتراف...، إلا أنّ هذه المصادر لم تتعرض إلى مصطلح الحرف إنما إلى نوع النشاط الحرفي مثل: حرف: انحراف عنه وتحرف، وفلان حرفته الوراقة، وهو يحترف بكذا، وهو يحرف لعياله: يكسب من هاهنا وهاهنا، أي من كل حرف، وفلان حريفك، وفيه حرافة: حدة.[5]

---

[1] أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص42-43.

[2] علي بن محمد بن مسعود الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، تح: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص775.

[3] محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، مجلد السين، القاموس المحيط، ج41، دار الحديث للنشر، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 2013، ص07.

[4] الزيات، المرجع السابق، ص168.

[5] أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص183.

- والحرفة في اللغة: اسم من الاحتراف، وهو الاكتساب، يقال: هو يحرف لعياله ويحترف بمعنى يكتسب هاهنا وهاهنا.[1]

- ورد في تاج العروس: حريفك: معاملك، كما في الصحاح (في حرفتك)، أي: في الصنعة.

أحرف الرجل: إذا كد على عياله، عن ابن الأعرابي: أحرف: إذا جازى على خير أو شر.

حرف: أي كسب.

وجمع الحر، بالكسر: حرف كغيب.

واحترف: اكتسب لعياله من هنا وهنا، والمحترف: الصانع.[2]

2- اصطلاحا:

أما من الناحية الاصطلاحية، فإنّ كلمة الحرفة المفردة أو المركبة التّي تستخدم للدلالة على كل من يكسب رزقه بالعمل في حرفة ما بصورة منتظمة ومستمرة.[3]

والحرفة بكسر الحاء، الطعمة بضم الطاء (مصدر الرزق والعمل)، والصناعة التّي يسترزق منها، وهي جهة الكسب، وقيل هي عمل يمارسه الإنسان إما لمصلحته أو لدى الآخرين بحيث لا تحتاج لتدريب طول المدى.[4]

والحرفة بالكسر، قيل الصناعة في عرف العامة وهي العلم الحاصل بمزاولة العمل كالخياطة والحياكة والحجامة، ونحوها مما يتوقف حصولها على المزاولة والممارسة.[5]

---

[1] جهاد غالب مصطفى الزغلول، المرجع السابق، ص31.

[2] الزبيدي، المرجع السابق، ص ص134-138.

[3] السيد عبد الفتاح، المرجع السابق، ص46.

[4] بكوش المولودة، قيشوش نصيرة، الحرف التقليدية الفنية في الجزائر- النسيج أنموذجا، جامعة معسكر، 2000، ص02.

[5] عبد السلام همال، "موقف إخوان الصفا من الحرف والصنائع"، مجلة البحوث التاريخية، المجلد4، العدد1، جامعة المسيلة، الجزائر، 2010، ص77.

ثم إنّ الحرفة من مرادفات المهنة، وكذلك الوظيفة، والعمل أيضا من مرادفات المهنة[1]، وإنها أصل الصناعة وسابقة عليها لأنّ المحترف والمتعلم لأي نشاط حرفي يكتسب ملكة الشيء المحترف فيه، والحرفي المبتدئ في تعلمه لا يتميز بالدقة والتفنن، وعند بلوغ درجة الصنعة وأسرارها نجده في غاية الجمال والروعة[2]، لذا فالمعنى القريب للحرفة: هو ذلك الجهد الذّي يقوم به الحرفي بتحويل مادته الأولية إلى شكلها الطبيعي ويتحفها لتصبح جاهزة للاستعمال، لذلك هي لا تختلف عن مفهوم الصناعة المعاصرة لكنها تقترب من مفهوم صناعة الحرفة لتطويرها خلال العصر الوسيط.[3]

وقيل: الحرفة عند الناس الفقر وقلة الكسب، وليست من كلام العرب، وإنما تقولها العامة، والاحتراف والاكتساب والحرفة من أسماء الأضداد، وفي الحديث: "إنّ الله يحب العبد المحترف"، ومما ورد: "الحرفة أمان من الفقر".[4]

وهي وسيلة الكسب من زراعة وصناعة وتجارة وغيرها، ويقال: حرفته أن يفعل كذا دأبه وديدنه.[5]

فالحرفة إذا تطلق على كل عمل يقوم به الإنسان، فهي طريقة الكسب ووسيلة المعاش، أما المحرف: هو الذّي نما ماله وصلح، والاسم الحرفة، أحرف الرجل إحرافا فهو محترف، يقال: جاء فلان بالحلف والإحراف إذا جاء بالماء الكثير.[6]

---

(1) قسطاس عبد الستار حميد، أرباب المهن والحرف في المجتمع الأندلسي خلال عصري الإمارة والخلافة (138-422هـ/755-1030م)، كلية التربية للبنات، جامعة البصرة، ص322.

(2) عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في الغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 2003، ص20.

(3) مرسلي عائشة، الحرف والصنائع في فاس في العهد المريني (668-869هـ/1269-1495م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة سعيدة، 2017-2018، ص23.

(4) أحمد القرباصي، المعجم الاقتصادي الإسلامي، دار الجيل، 1981، ص111.

(5) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر (1700-1830م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2001، ص12.

(6) مصطفى الزغلول، المرجع السابق، ص13.

إنّ المحترف والمتعلم لأي نشاط حرفي، وهو في طريق تعلم الحرفة وآلياتها ليكتسب ملكة الشيء المحترف فيه، فنجد أعمال الحرفي المبتدئ في أوّل تعليمه لا يتميز بالدقة والتفنن، لكن لما يبلغ درجة من الرسوخ والملكة والمهارة، نجد أعماله في غاية الدقة في زمانها ووسائلها، ويبدع فيها، لأنّها أعلى درجات التحكم.[1]

بصفة عامة، ومما سبق من التعاريف يتبين لنا أنّ الصناعة بصفة عامة هي كل عمل يدوي جهدي يقوم به صاحب الصنعة، أي كل ما يصنع باليدين، فهو من يقوم بإتقانها والحرص عليها، فهو حاذق ومحافظ وملازم لحرفته ومهنته وهو أهل لها، وهذا ما نلاحظه عند ابن فرحون (799هـ-1397م) في قوله: "صناع اليدين خيرا"، وقول إخوان الصفاء: "استعينوا على كل صنعة أهلها"، وقول ابن خلدون: "ورسخت فيهم الصنعة".[2]

نستخلص مما سبق أنّ الحرفة هي ذلك الجهد أو العمل الذّي يقوم به الحرفي بتحويل مادته الأولية من شكلها الطبيعي، ويتحفها لتصبح جاهزة للاستعمال، وليكون هناك تحصيل قوة، ولذلك فهي لا تختلف عن مفهوم الصناعة، لكنها تقترب من مفهوم صناعة الحرفة لتطويرها خلال العصر الوسيط، وأنها تحويل مواد خام طبيعية من معادن يتم سبكها واستخراجها إلى حاجات ضرورية وكمالية للإنسان.[3]

ويتبين لنا أيضا أنّها كل عمل يدوي يمارسه الإنسان ويكسب به عيشه ولا يحتاج إلى إعداد مسبق بل من خلال تدريب قصير ليكتسب الشخص خبرة واسعة ومهارة كبيرة يستطيع معها القيام بالعمل بمهارة عالية وإتقان، كحرفة النجارة، الحدادة، والصباغة...، وتطورت وأصبحت تستخدم الأدوات والآلات والطرق المختلفة في العمل.[4]

---

[1] لخضر العربي، الحرف في تلمسان على العهد الزياني، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة معسكر، الجزائر، 2001، ص22.

[2] سعيدة العوني، الزهرة العوني، الحرف والصناعات في بلاد المغرب الإسلامي من خلال كتاب الأنيس لابن أبي الزرع الفاسي (ق8هـ-14م)، جامعة الوادي، 2020، ص68.

[3] عز الدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص20.

[4] حميد قسطاس، المرجع السابق، ص321.

والحرفة عبارة عن كل وجه يتقلب الإنسان فيه ويتصرف للكسب حتى تشمل التجارة والزراعة، ووكالات الدعاوى، وتعليم العلوم والسمسرة والدلالة والطبابة والقبالة، وفتح الحمامات، وتقيق الحطب بالأجرة وكيالة الحبوب والقيانة، حتى كناسة الأسواق والطرق لمن يعيش منها.[1]

المبحث الثاني: تعريف الصناعة

1- لغة:

وردت عدة تعريفات للصناعة في مختلف الكتب أبرزها:

- كما جاء في لسان العرب: "صنعه يصنعه صنعا، فهو مصنوع وصنع عمله"،[2] والصناعة: ما يستطيع من أمر، وفي التنزيل العزيز قال تعالى: ﴿**وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**﴾[3]، ورجل صنع اليد وصانع اليد، "وصنعت الشيء، أصنع صنعا وصنعا، والصانع عامل الشيء، والصناعة حرفته، وجمع صنائع صناع".[4]

- صنع: وهو صانع من الصناع ماهر في صناعته وصنعته، ورجل صَنَعٌ، ماهر، وقوم صُنُعٌ، ونعم ما صنعت، وما أحسن صنع الله عندك، وفلان صنيعتك، ومصطنعك، واصطنعت عنده صنيعة[5]، واتخذ مصنعه للماء وصنعا، ومصانع وأصناعا ﴿**وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ**﴾[6]، قصورا ومدائن، والعرب تسمي القرية والقصر: مصنعة.

- وردت عند الجوهري: الصناعة حرفة الصانع، وعمله الصنعة، وعند ابن سيده: صنعه يصنعه فهو مصنوع وصنيع: عمله والصنع هاهنا فعيل بمعنى مصنوع.

---

[1] ظاهر خير الله الشويري، الحرف وتوابعها، العدد1، 1904، ص01.

[2] محمد بن مكرم ابن علي أبو الفضل جلال الدين (بن منظور)، لسان العرب، ج8، ط1، بيروت، 1882، ص208.

[3] القرآن الكريم، سورة طه، الآية 41.

[4] الخزاعي، المرجع السابق، ص776.

[5] الزمخشري، المرجع السابق، ص560-561.

[6] القرآن الكريم، سورة الشعراء، الآية 129.

- الفزاز: صنعت الشيء أصنعه صنعا ومصنعا، والصانع: عامل الشيء، والصناعة حرفته، وجمع صانع: الصناع.

- ابن سيده، رَجُلُ صناع اليد وامرأة صناع اليد ويفرد في المرأة من نسوة صُنع الأيدي، وفي المثل: لا تَعْدَمُ صناعُ ثُلَّةَ، الثلة: الصوف والشعر والوبر، ولا يفرد صناع اليد في المذكر.[1]

والصناعة حرفة الصانع وعمله الصنعة، والصناعة لما يستطيع م أمر، والصنع هو الإتقان، ورجل صنيع اليد، وصناع اليد أي صانع حاذق[2]، لقوله تعالى: ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾.[3]

وأيضا الصناعة حرفة الصانع وعمله الصنعة بفتح الصادر وسكون النون (أي ما يكون من عمل الصانع كالخزانة والصندوق من عمل النجار يسمى صنعة)، ورجل صنيع اليدين وصنع اليدين صانع حاذق.

ورد في القاموس صنع الشيء صنعا عمله والصانع ككتابة حرفة الصانع، وهو صنع اليدين وصانعها حاذق في الصنعة[4]، وبالتالي الصناعة عبارة عن عمل يدوي يجريه الصانع في صنعته، ويكون مما يغير في ذات المصنوع كالطحانة، الخبازة، الطباخة أو في صفته كالنجارة والحدادة والصباغة، وفي هذه وأمثالها يسمى المصنوع باسم غير اسم مادته، وقد يكون عمل الصانع ما يغير في صنعة المصنوع حتى يصير صنفا من نوعه يتميز عنه بتلك الصنعة ويكسبه اسما خاصا كعمل الصباغ ومجلد الكتب وكراء الثياب، ومن ثم الخط والنقوش والتصوير بالشمس وألوان الصناعة.[5]

---

(1) الخزاعي، المرجع السابق، ص776.

(2) ابن منظور، المرجع السابق، ص209.

(3) القرآن الكريم، سورة النحل، الآية 88.

(4) الشويري، المصدر السابق، ص ص1-2.

(5) نفسه، ص02.

واعلم أنّه وإن كانت الصناعة في الأصل لما هو يدوي فقد توسعوا في استعمالها وأطلقوها أيضا على العمليات، وهذا مما يشمله القاموس وكل ما اشتغل الإنسان، يسمى صنعة (أي صناعة)، وحرفة أيضا "رجل صنع اللّسان ومحركه ولسان صنع يقال للشاعر ولكل بليغ".[1]

2- اصطلاحا:

لقد عرف ابن خلدون الصناعة بأنّها: ملكة في أمر عملي فكري، أي أنّها تحتاج إلى العلم والممارسة اليدوية حتى ترسخ مع الزمن وتصبح (ملكة)، ولا تكون إلا في المجتمع المتحضر، فوجودها يدل على درجة التحضر والعلم، فلابد أن يكون في المسلمين فئة تتقن هذه (الصناعة).[2]

كما جعل ابن خلدون الصناعة في المرتبة الثانية بعد الفلاحة، وربطها بمدى تطور العمران، حيث أنّه يورد قائلا: "أما الصنائع فهي ثانيهما ومتأخرة عنها، لأنّها مركبة وعملية تصرف فيها الأفكار والأنظار، ولهذا لا يوجد غالبا إلا في أهل الحضر الذّي هو متأخر عن البدو".[3]

وللصناعة معنى آخر في عرف الخاصة وهي: العلم المتعلق بكيفية العمل ويكون المقصود منه ذلك عمل سواء حصل بمزاولة العمل كالخياطة ونحوها، وكعلم الفقه والمنطق والنحو والحكمة والعملية ونحوها كالحاجة فيه على حصوله إلى مزاولة الأعمال، وقد يقال كل علم مارسه الرجل حتى صار كالحرفة له يسمى صناعة له.[4]

---

[1] الشويري، المصدر السابق، ص02.

[2] ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج2، 2006، ص ص864-866.

[3] ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: سهيل زكار، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2001، ص201.

[4] همال، المرجع السابق، ص77.

ثم ارتقت الصناعة بتوالي الأجيال ووفرة المواد المعدنية والأولية عامة، واتصال العمران، وظل مستوى الصانع اليدوي معروفا، وبقيت السلع تصنع في البيوت أو المحلات والحوانيت، ولقد قسمت الصنائع إلى قسمين، وهذا حسب فائدتها كالصنائع الضرورية للمجتمع كالزراعة والحياكة والبناء، والصنائع المكملة لها كالحلج والغزل والخياطة، وحسب موضعها كالصنائع الجسمانية والحرف اليدوية.[1]

ويقصد بالصناعة كل ما يتعلق بتصنيع الإنتاج الزراعي وما يتصل به، واستنباط المعادن وتصنيعها، يوما يتعلق بها من الحرف المتداولة والاستفادة من ذلك كله في متطلبات الإنسان الضرورية والكمالية، وأن ضم الأعمال بعضها إلى بعض كالخشب مع النجارة، والغزل مع الحياكة، فالعمل فيه أكثر قيمة، ويبدو أنّ ابن خلدون هو مقتنع بنظرية التداعي الصناعي والتّي تستدعي تكامل وتفعيل الأنشطة بعضها ببعض.[2]

والصناع هم الذين يعملون بأبدانهم وأدواتهم ويعيشون من بيع ما ينتجون، وتشير مجمل التعارف التّي ذكرناها إلى أن كلا الاصطلاحين الصنعة أو الصناعة يدلان على معنى واحد يتمثل في ممارسة الحرفة، ويقول ابن خلدون "أن التحصيل الضروري من المعاش كالحنطة وغيرها، فاذا تمدنت المدينة وتزايدت فيها الأعمال والصنائع لتتأنق فيها واستجابتها، فتزداد الصنائع وتظهر حرف بأخرى جديدة مبتكرة".[3]

3- الفرق بين الحرفة والصناعة:

إنّ ابن خلدون ميز بينهم تميزا واضحا، حيث جعل مفهوم الصناعة أضيق وحصره فيما هو مكتسب بالممارسة والتمرن، ومن ثم فالحرفة أشمل، والصناعة عند هؤلاء هي كل عمل يقتضي استعمال الأيدي "الأيدي اليدوية".[4]

---

[1] مرسلي عائشة، المرجع السابق، ص25.

[2] بلبشير عمر، جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعي والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن (06-09هـ/ 12-15م)، ص38.

[3] مرسلي عائشة، المرجع السابق، ص24.

[4] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص146.

والحرفة هي "الطعمة والصناعة" التّي يسترزق منها، وهي حجة الكسب، وبهذا تكون الحرفة عبارة عن وجه يتقلب فيه الإنسان ويتصرف للكسب، حتى تشمل التجارة، والزراعة، وتعليم العلوم، والسمسرة والصيدلة، والحدادة والصباغة...، أما الصناعة هي عملية تحويل المواد الأولية إلى مواد أخرة أكثر فائدة منها كاستغلال القطن والحرير والكتان في صناعة المنسوجات، واستغلال الأخشاب في صناعة السفن ومختلف الأثاث، واستغلال المعادن في صناعة الحدادة والصياغة وغيرها، وهذه الصناعات التحويلية يمكن أن نطلق عليها اسم "الحرف الصناعية" وهي بمفهومها هذا تدخل في نطاق مفهوم الحرفة.[1]

وبخصوص الفرق بينهما يرى "القاسمي" أنّ الصناعة هي كل ما اشتغل به بالإنسان ومارسه حتى صار ملكة فيه، فالصناعة هي العمل المتعلق بكيفية العمل، والمكلة هي الكيفية الراسخة في الذهن، ومن أسمائها "الحرفة"، لأنّ الإنسان ينحرف اليها، أي يميل.[2]

ومن خلال معرفة معاني اللفظتين أو المصطلحين: الصناعة والحرفة، يظهر أو يتبين لنا أنّ هناك فروقا في كثير من الجوانب، فيبدو أنّ مفهوم الحرفة أوسع من مفهوم الصناعة.[3]

والملاحظ على المعاجم العربيّة أنّها لا تقيم الفرق بين الصناعة وبين الحرف، بل تعتبران واحدا، وإن كان ارتباطهما بإتقان الفعل المادي وتنمية المال.[4]

---

[1] الزغلول، المرجع السابق، ص14.

[2] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص146.

[3] الزغلول، المرجع السابق، ص15.

[4] نفسه، ص15.

المبحث الثالث: النخبة

1- تعريف النخبة:

لقد تعددت وتباينت التعاريف لمصطلح "النخبة" في المصادر التاريخية أبرزها ما يلي:

أ- **لغة:** نخب، أنّه لمنخوب ونخيب ونخب: لا فوائد له، وقد نخب قلبه ونخب كأنما نزع، من قولهم، نخبت الشيء إذا نزعه ومنه الانتخاب، الاختيار كأنك تنتزعه من بين الأشياء وهؤلاء نخبة قومهم: لخيارهم، وقيل هو بفتح الخاء.[1]

نخب فيه "ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه، حتى نخبة النملة"، النخبة: العضة والقرصة يقال نخبت النملة تنخب، إذا عضت والنخب: خرق الجلد ومنه حديث أبي "لا يصيب المؤمن مصيبة ذغرة ولا عثرة قدم، ولا اختلاج عرف ولا نخبة نملة إلا بذنب وما يعفو الله أكثر" ذكره الزمخشري مرفوعا بالخاء والجيم وكذلك ذكره أبو موسى فيها، وفي حديث علي وقيل عمر "وخرجنا في النخبة" النخبة بالضم، المنتخبون من الناس المنتقون، والانتخاب الاختيار والانتقاء ومنه حديث الأكوع "انتخب من القوم مائة رجل".[2]

كما تعرف النخبة على أنّها جماعة من خيار القوم من الرجال التّي تختار فتنتزع إليهم، وقال الليث: يقال انتخبت أفضلهم وانتخبت نخبتهم، أما الأصمعي قال: هو نخبة القوم بضم النون وفتح الخاء.[3]

كما يقصد بالنخبة لغة أيضا الاختيار والاصطفاء والانتقاء وبصفة الجمع نخب للدلالة على قلة من الناس تتمتع بقدر عالي من الجاه ومن الفهم والعلم والصفاء،

---

[1] الزمخشري، المرجع السابق، ج2، ص257.

[2] مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج5، مؤسسة مطبوعاتي اسماعليان للنشر، ص ص31-31.

[3] ابن منظور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، ج1، تح: عبد اللام سرحان، مر: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د س، ص287.

ويتصدرون المجتمع باعتبارهم صفوة الناس وخيارهم، وجاء هذا المصطلح مرادفا لكلمة الصفوة والخاصة والمكانة المرموقة، والقدر العالي، كما ترمز في أخص معانيها على السمو والارتفاع.[1]

كما وردت في كتاب لسان العرب لابن منظور: إذ فضل نطقها لغويا بضم النون وفتح الخاء فعمد في ذلك على قول الأصمعي والنخبة والجمع نخب، كرطبة ورطب، ويقال: جاء في نخب أصحابه أي في خيارهم، ويقال: نخبت الشيء وانتخبته إذا نزعته، وفيه الانتخاب: الاختيار كأنك تنتزعه من بين الأشياء وهؤلاء نخبة قومهم خيارهم وقيل بفتح الخاء ونخبة المتاع المختار ينتزع منه، ويقال انتخبت أفضلهم: نخبة نخبتهم.[2]

والنخبة من الانتخاب، أي الانتزاع، هو الاختيار والانتقاء، ومنه تنتقى النخبة، وهم الجماعة التّي تختار من الرجال فتنتزع منهم، والمنتخبون من الناس هم المنتقون.

وفي معجم اللغة نجد (النخبة): المختار من كل شيء إذ يقال جاء في نخبة أصحابه: أي خيارهم، أما قاموس أكسفورد فإنّ كلمة (Elite) تشير إلى الفئة الاجتماعية التّي يعتقد أنّها الأفضل والأهم من بين غيرها بفضل امتلاكها السلطة أو الثروة أو مهارات عقلية مثل: النخبة الحاكمة، النخبة المثقفة.[3]

ب- اصطلاحا: ولقد استعمل يحي بن خلدون مصطلح العلماء، الصلحاء المحدّثون بدل لفظ النخبة، حيث يورد في وصفه تلمسان قائلا: "تلمسان مدينة عظيمة عريقة في التمدن لذيذة الهواء عذبة الماء كريمة المنبت مشرفة علينا إشراف التاج على الجنين (سفح الجبل)، تطل منه على فحص معد الفلاحة وبها للملوك قصور زاهرة استسلمت على

---

[1] إلهام قاتل، النخبة العاملة في المغرب الأوسط (ق7-9هـ/13-15م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة محمد بوضياف، المسيل، الجزائر، 2018، ص20.

[2] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ابن منظور (ت711هـ/1311م)، لسان العرب، ج1، دار صادر، بيروت، 1883، ص ص751-752.

[3] رحالي محمد، النخبة السياسية المحلية ومسألة التنمية، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية، دراسة حالة المجلس الشعبي الولائي لولاية سيدي بلعباس، جامعة وهران، 2013، ص16.

المصانع الفائقة وهذه المدينة هي قاعدة المغرب ودار مملكة زناتة، ومحل العلماء والمحدثين والصلحاء.[1]

أما عن علماء الغرب الإسلامي المحدث والمؤرخ أبو عبد الله محمد بن عبد بالله بن أبي بكر القناعي المعروف بابن الآبار، فيعد من أشهر مصنفي معاجم الرجال الدين أنجبتهم الأندلس، تحدث فيها عن نخب مختارة من المجتمع الأندلسي، الذّي يتميز مصنفه "الحلة السراء" حيث ضم نخبا من الشعراء بالمغرب والمشرق من الأمراء والوزراء والكتاب والأعيان والعلماء.[2]

كما أطلق مصطلح النخبة أوّل مرة لوصف السلع ذات الخصائص الممتازة والتّي تجعلها متفرقة عن غيرها (ذات جودة) والاستعمال الذّي كان شائعا خلال القرن السابع عشر.[3]

أما من حيث مفهومها السياسي فلا غرابة أن تتشكل النخبة من السلطة وحاشيتها من الأعيان وذي الجاه، فهي في كثير من الأحيان ترمز إلى خاصة السلطان وبطانته.[4]

ومن الجانب الاقتصادي فمفهوم النخبة أطلق مرة لوصف السلع ذات الخصائص الممتازة ذات الجودة العالية والتّي تجعلها متفوقة عن غيرها وهو الاستعمال الذّي كان شائعا خلال القرن السابع عشر.

ولقد استعمل المفهوم فيما بعد للدلالة على الفئات الاجتماعية المتفوقة في مجالات النشاط الاجتماعي بالمعنى الواسع للكلمة.

---

[1] ابن زكريا يحي ابن أبي بكر كمحمد بن محمد بن محمد بن الحسن ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد، مج1، مطبعة بيير لونطانا الشرقية، الجزائر، 1903، ص ص9-10-21.

[2] عبد الواحد ذكوك، أبحاث في تاريخ المغرب والأندلس وصور من التواصل الحضاري مع المشرق، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2014، ص369.

[3] عبد الرحمن شعشي، النخبة مقاربة في المفهوم، كلية العلوم الاقتصادية والاجتماعية، د ط، جامعة الحسن الاول، سطان، د س، ص100.

[4] محمد ياسر الهلالي، مجتمع المغرب الأقصى، ص62.

وأوّل استعمال لمفهوم النخبة في اللغة الإنجليزية هو ذاك المصطلح الوارد في قاموس أكسفورد والذّي يرجع إلى سنة 1823 حين أطلق على فئات اجتماعية متميزة، فالنخبة من هذا المنطلق هي جماعة من الأفراد يعترف بدورها المتميز في التأثير والسيطرة.[1]

❖نشأة الحرف:

إنّ الإسلام قدس العمل وأعلى من شأنه ومكانته، وأوجد للعمال عامة والصناع على وجه الخصوص مكانة في المجتمع، وشيئا فشيئا بدأت الحرف تلقى القبول وانخرط بفيها أغلب فئات المجتمع، ومنذ القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي بدأوا يقبلون أسماء وألقاب تدل على الصنعة، فأصبحنا نجد أحمد الحداد، وجعفر البقال، وسعد الغزال، وتأكد هذا فعلا منذ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.[2]

والصنائع مختلفات ولها درجات متباينات، فمنها ما يرفع أهلها ويشرفهم ويغنيهم ومنها ما يضع المحترفين به أشد الضعة، ويحملهم أقبح الخمول حتى لا يكون أحد منهم نظر في منزلة ولا كفاءة في صناعة، وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهما: "قيمة كل امرئ ما يحسن"، فالعلم بالصنائع والعلوم على الإطلاق حسن لكن بعضها أفضل من بعض، ويكون التفاضل بينها من حيث موضعها وغايتها، مثال ذلك الطبيب أفضل من النجار، فالطبيب ينظر فيه ويتبين أثر صناعته في أبدان الناس، وموضوع النجار ينظر فيه ويبين أثر صناعته الخشب، وأبدان الناس أفضل من الخشب.

أما الغاية، فإنّ غاية الطبيب حفظ الصحة الموجودة، وإعادة الصحة المفقودة، وغاية النجار تأليف بالخشب على الصورة القائمة في نفسه، والمتمثلة في مختلف الأثاث،

---

[1] عبد الرحمن شحشي، المرجع السابق، ص135.

[2] بتة مرزوق، الحرف والصناعاتى التقليدية بمنطقة الحضنة، دراسة أثرية فنية، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر 2، 2013-2014، ص47.

والأدوات الضرورية للإنسان في المجتمع والتّي يكون موضوع أو مادة صناعتها من الخشب.[1]

في حين اعتبرت بعض الحرف والصنائع من الحرف غير النظيفة كالدباغة مثلا، التّي لها رائحة كريهة وخطرة ومضرة بالساكنة[2]، كما صنفت أيضا من الحرف المتخلفة وتمارس في أقاليم محدودة الامتداد ونطاقات تتصف بصعوبة ظروفها البيئية وقسوتها وتقتصر على الاحتياجات الضرورية، أي أنّ هذه الحرف يختص بها البدو.[3]

ويرجع الفضل للقرطاجيين في انتشار الحرف من نجارة، حدادة، صباغة، ودباغة...وغيرها والحرفة قديمة قدم البشرية، وسيلة لكسب العيش، وظهرت في الحضارة الإسلامية كمفهوم لتقسيم العمل، وبرزت أكثر أواخر القرن الثاني الهجري، وبداية القرن الثالث الهجري، الثامن والتاسع الهجريين، فتنوعت وكثرت بتوسع العمران.

لكن بعد تعقد الحياة بالاجتماعية، وتدني المستوى المعيشي ظهر التفاوت الاجتماعي في مختلف الجماعات العاملة، وبذلك تكون قيمة الحرفة أعلى من غيرها، والذّي مارس تلك المهنة يكون ذا شان في المجتمع أكثر من غيره.[4]

أما بالنسبة للانتماء الحرفي لأهل الصناعات في المغرب الإسلامي يبصفة عامة، والمغرب الأوسط بصفة خاصة، يتخذ أشكالا ومشارب متعددة، وقد تأخذ صورا مختلفة نذكر منها:

- الانتماء الحرفي:

- الانتماء السياسي والديني: يتمثل في صهر عناصر المجتمع في أمة واحدة على الرغم من التنوع الثقافي والعقدي والعرقي، وشكلت الطائفة الحرفية وعاء النشاط الاقتصادي

---

(1) أبي الفضل جعفر بن علي الدمشقي، الإشارة إلى محاسن الحجارة ومعرفة صيد الأعراض ورديئها وغشوش المدلسين فيها، مطبعة مؤيد، 1883، د ب، ص41.

(2) بتة مرزوق، المرجع السابق، ص 42.

(3) محمدي خميس الزوكه، جغرافية العالم الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، 2000، ص223.

(4) بتة مرزوق، المرجع السابق، ص 43.

خاصة في المغرب الأوسط، والي نشأت بطبيعتها عبر مراحل التاريخ كطبقة صانعة للحياة من أجل الاستمرارية، ومنتجة للخيرات المادية، وقد ضمت القوى المنتجة بداخلها طاقات من الحرفيين من مختلف الأجناس في المغرب الأوسط، تكونت نتيجة إسهامات خارجية ومحلية وتفاعل مع حضارات أخرى.[1]

- **الانتماء الحضاري:** يشير ابن خلدون وغيره من المؤرخين كابن حوقل الإدريسي أنّ معظم حواضر المغرب الأوسط كان ساكنتها من البربر وكانوا قوم بدو، في كلا من تلمسان، تاهرت، كتامة بين قسنطينة وبجاية، ومعظم وسائلهم تقليدية التّي يتم استعمالها في مختلف أنشطتهم، إضافة إلى جزائريي مزغنة التّي تتمركز بها فئة كبيرة من البربر وأموالهم المواشي، البقر، الغنم..، هذه القرائن تشير إلى نمط المعيشة لهذه القبائل التّي لم ترتق إلى درجة التحضر، لكن بمرور الزمن، سرعان لما تحولت إلى الترقي والازدهار، وذلك بفضل نشأة المدن الجديدة والاستبحار في العمران، وكذا الاتجاه نحو الحرف والصنائع الضرورية في حياتهم اليومية.

- **الانتماء الجغرافي:** إنّ الإنتاج الحرفي يقترن بالقطاع الفلاحي والتجاري، وذلك في إطار الاندماج التكاملي في بناء اقتصادي اجتماعي، إذ لوحظ انتشار الحرف في المكان الجغرافي المناسب حسب طبيعة البيئة من خلال توفرها على الموارد الطبيعية النباتية أو الحيوانية، وشاعت بذلك ظاهرة التخصص الصناعي في مناطق عدة من بلاد المغرب الأوسط طبقا لتوزيع المواد الأولية الضرورية للإنتاج الصناعي.[2]

- **الانتماء إلى الصنعة:** يعد الصناع من أبرز الفئات الاجتماعية والاقتصادية التّي تأثرت بالهجرات المشرقية والأندلسية وكذا الظروف السياسية، وبذلك تنوعت الحرف وشاعت أو ظهرت ألقاب لهؤلاء أمثال: السجانون، الغزالون، الصباغون، القحاطون، الحاكة، الجزارون..، ويبدو جليا مدى تنوع الأنشطة الاقتصادية الممارسة في بلاد المغرب

---

[1] تواتية بودالية، الانتماء الحرفي لأهل الصناعات في المغرب الأوسط، العدد4، جامعة معسكر، 2013، ص258.

[2] نفسه، ص 262.

الأوسط، كل ذلك أدى إلى نشأة نظام الأصناف لتسهيل حركة النشاط الاقتصادي، ولقد تشابهت الروابط الحرفية في البلاد الإسلامية، وظهرت الحاجة إلى أسواق مشتركة بعيدة عن تبعية السلطة.[1]

[1] تواتية بودالية، المرجع السابق، ص264.

الفصل الأول

الحرف والصنائع في الغرب الإسلامي

المبحث الأول: النظرة الإسلامية للحرف والصنائع:

المبحث الثاني: الحرف والصنائع في مصنفات كتب الغرب الإسلامي (ابن خلدون نموذجا)

المبحث الثالث: المقومات الحرفية والصناعية بالغرب الإسلامي

المبحث الأول: النظرة الإسلامية للحرف والصنائع:

لقد حض الله عز وجل الناس على ممارسة الصناعة ومختلف المهن من خلال الحض على العمل، فقال تعالى: ﴿**وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ**﴾[1] وقال أيضا: ﴿**فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[2]، وفي هذه الآية دليل على تعدد المهن.[3]

وكان الرسول محمد (ص) يحض بدوره على العمل فقال: "من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له يوم القيامة"، وقال: "إنّ الله يحب العبد المؤمن المحترف"، وقد حض الله تعالى ورسوله على إتقان العمل فقال تعالى: ﴿ **وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[4]، وقال: ﴿**وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[5]، وقال (ص): "إنّ الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه".

وكان الصحابة يحثون على العمل، فإنّ عمر بن الخطاب يقول: "إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول: أله حرفة؟ فإذا قالوا: لا سقط من عيني"، وكانت عائشة - رضي الله عنها- تقول: "المغزل في يد المرأة أحسن من الرمح بيد المحاه في سبيل الله"، وكان علي بن أبي كالب يسقي بالدلاء على ثمرات، وكان سعد بن أبي وقاص صانع نبال، وسلطان الفارسي حلاقا.[6]

---

[1] سورة التوبة، الآية 105.

[2] سورة المزمل، الآية 20.

[3] جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، د س، ص83.

[4] سورة النحل، الآية 93.

[5] سورة الكهف، الآية 30.

[6] جودت عبد الكريم، نفسه، ص83.

لقد شجع الإسلام على العمل في الحقل الصناعي، وقد تجلى ذلك من خلال الآيات القرآنية والسنة النبوية الشريفة من خلال الأحاديث.[1]

1- موقف القرآن الكريم:

حث الله تعالى على ممارسة الصناعة ومختلف المهن من خلال الحث على العمل فقال تعالى: ﴿ **وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾[2]، وأن يعتمدوا في عملهم في تحصيل رزقهم، وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿**وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ**﴾[3]، وتحصنهم من البأس في قوله تعالى: ﴿ **وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ**﴾[4]، وحث على إتقان العمل في قوله تعالى: ﴿ **صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾.[5]

2- موقف السنة (الأحاديث النبوية):

حث الرسول (ص) بدوره على العمل فقال: "إنّ الله يحب العبد المؤمن المحترف" وإتقانه فقال: "إنّ الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه".

وعن ابن عباس قال: كان رسول الله (ص) إذا نظر إلى رجل فأعجبه فقال: هل له حرفة؟ فإن قالوا لا قال: سقط من عيني، قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟، قال: لأنّ المؤمن إذا لم يكن ذا حرفة كعيش بدينه، كما جاء في الأحاديث النبوية أنّ الرسول (ص) كان يمارس الصناعة حيث قال رسول الله (ص): "ما بعث الله نبيا إلا ورعى الغنم، قالوا: يا رسول الله؟، قال: كنت أرعاها على قراري لأهل مكة" رواه البخاري.[6]

---

[1] رويصات سارة، رحماني جميلة، الحرف والصناعات بالمغرب الأوسط خلال العهد الرستمي (161-297هـ/777-909م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2021، ص92.

[2] سورة التوبة، الآية 105.

[3] سورة الشعراء، الآية 129.

[4] سورة الأنبياء، الآية 80.

[5] سورة النمل، الآية 88.

[6] رويصات سارة، نفسه، ص106.

كما أعلى الإسلام من شأن الحرف والصناعات والقائمين عليها بشكل عام، بعد أن كانت تلاقي نوعا من الاحتقار والازدراء والمهانة في ثقافات العالم القديم من عبرانيين ويونان رومان، وكذلك العرب قبل مجيء الإسلام، فاذا أراد احدهم أن يسب شخصا يقوله: "يا ابن الصانع"، غير أنّ تلك المفاهيم الخاطئة عن الصناعة قد تأرجحت بين التحيز تارة والتقدير تارة أخرى خلال فترات كبيرة من تاريخ الغرب الاسلامي، فالأمير محمد بن عبد الرحمن (228-273هـ/842-886م) في حديثه إلى وزيره هشام بن عبد العزيز يقول: "كنا لا تخلف آباءكم فيكم، ولا نخلفكم في أبنائكم، فعند من نضع إحساننا ونرث معروفنا؟ عند أبناء القزازين والجزارين الحجامين وأشباههم من الغاصين للهيئة، المخلين بالأبهة".[1]

وعد الصناع في القيروان من طبقة العامة والدنيا بها، غير أنّه خلال الفترات اللاحقة من تاريخ بالغرب الإسلامي في العهد الحفصي إبان القرنين (7-8هـ/13-14م)، ونتيجة لتطور الصناعة أصبحت لبعض الصناعات من المهن التّي عمل بها أفضل الناس، ولم تكن من المهن الوضيعة التّي حطت من شأنها العامة، هكذا يتضح أن الصناعة ومفهومها تغير حسب ثقافة المجتمع المحيط بها، فكلما اختلط المجتمع بالحضارات الأخرى من خلال الصناعة والتجارة، كما حدث خلال العهد الحفصي، وتطورت الصناعة وعكست حضارة مجتمعها.[2]

وغيرت أيضا الحركة الفكرية نظرتها إلى الحرف والصناع وكذا العمل في المجال الحرفي وذلك بالدعوة إلى ممارسة الحرف والمهن المختلفة، لذا ارتبطت الأصناف ارتباطا وثيقا بالحركات الاجتماعية والتّي منحت الحرفيين والصناع أملا كبيرا لمواصلة نشاطاتهم والرفع من شأنها وإبراز مكانتها في المجتمع، وكانت البدايات الأولى لظهور

---

[1] محمود هدية، اقتصاد بالنسيج في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوي سي أي سي للنشر، المملكة المتحدة، 2017، ص71.

[2] نفسه، ص71.

الأصناف تجمع أهل الحرف والمهن في أسواق ومحال متخصصة، وتوجد لكل حرفة أو صنعة مكانها المخصص لها.[1]

رفع الإسلام من شأن العمل واحترام الحرف اليدوية، وكان من نتائج الحركة الفكرية في الغرب الإسلامي فيما بعد أثر في تغير النظرة إلى العمل والصناع بالدعوة إلى ممارسة الحرف والمهن المختلفة، ومن ثم نجد الأصناف العربيّة الإسلامية ترتبط ارتباطا عضويا ومباشرا بالحركات الاجتماعية، تلك الحركة التّي كسبت أنصار الكثيرين من بين صناع المدن وفلاحي الريف أملا في تحقيق العدل الاجتماعي، وإن التغيرات الاقتصادية والاجتماعية جلبت ثروة ونفوذا للبعض وبؤسا للآخرين[2]، هذا من جهة ومن جهة أخرى يعد موقف الإسلام من الصناعة والحرف واضحا وإيجابيا، فالعمل كان ولايزال هو ميزان تقدم الأمة والمهارة في إتقانه هي مقياس الحضارة والوفاء بالعمل هو الهدف الذّي يسعى إليه الإصلاح الاجتماعي، قال رسول الله (ﷺ): "إنّ الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه"، وبعد والإسلام الإنتاج عبادة وتقرب إلى الله، بل جهاد في سبيل الله، وأكد عظمة قدرة حماية الدولة لحقوق العمال، ثم إعطاء كل عامل على قدر ما يستحق من إتقان ﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ**﴾، وأفضل الأعمال الاكتساب للإنفاق على العيال، وفي الحديث الشريف "طلب الكسب فريضة على كل مسلم كما أنّ طلب العلم فريضة".[3]

هذا التوجه العام ساعد على ارتقاء الحركة الحرفية والصناعية وتطورها وانخرط العرب في الصناعة ووصولهم المهن واستيلائهم زمام الأمور فيها، وبعد أن كان العربي يأنف العمل في الحرف، وينظر إلى العاملين بها نظرة ازدراء، لأنّها في عرفهم حرف

---

[1] صباح إبراهيم سعيد الشيخلي، الأصناف والمهن في العصر العباسي نشأتها وتطورها، بحث في التنظيمات الحرفية في المجتمع العربي الإسلامي، الفوات للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص39.

[2] أبي محمد عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في أخبار المغرب وشرحه، صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية للنشر، سيدا، بيروت، 2006، ص80.

[3] نافذ سويد، الحرفيون ودورهم التاريخي...، المرجع السابق، ص76.

وضيعة خلقت للعبيد والموالي، ولا تليق الأجرار وكان الشريف منهم لا يحضر وليمة إليها رجل من أصحاب هذه الحرف، وذلك ليس في مكانته ومنزلته...، وبعد أن كان الفرد يرفض الأسماء التّي لا تدل على الأصل والحسب، ويحتقر البنية إلى الصناعات كالصناعة بالحدادة...وغيرها.[1]

لقد كرست كل الأديان السماوية تعليمات وتوجيهات حثت فيها الإنسان على الكد والاجتهاد لتوفير قوته، وتحقيق سعادته وصونا لعزته وكرامته ودرءا لكل ذل أو هوان يلحقه، وفي هذا الإطار دعا الإسلام الناس كافة إلى الكدح وتعلم العمل الصالح الذّي وضعه بمثابة عبادة يجازي نعليها المرء يوم الحساب، لذلك أولي هذا الدين في مختلف تشريعاته عناية فائقة للإنتاج الاقتصادي وبمختلف معاملاته ونشاطاته، فاحتوت تعاليمه قرآنا وسنة على نصوص تبجل العمل الحرفي باعتباره من الضرورات التّي يقوم أمر المعاش، فنوه القرآن الكريم في العديد من آياته بالحرف والكسب في سياق اهتماماته بالنشاط الاقتصادي لقوله تعالى: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ**﴾، وعلى النهج نفسه زخرت السنة النبوية الممثلة في الأحاديث بوصايا وأقوال النبي (ﷺ) تشيد فيها بالعمل اليدوي والمشروع مثلما ورد في قوله: "ما أكل أحد قط من أن يأكل من عمل يديه، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يديه".[2]

أما بالنسبة للعرب في العصر الجاهلي فكان لديهم بعض الأعراف والعادات التّي ساروا عليها، والتّي كان لها أثرها الواضح على حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، ومن جملة تلك الأعراف، نفورهم وابتعادهم عن بعض الحرف، فرأوا أنّه لا يليق بالعربي الحر الشريف أن يكون حرفيا، لأنّ الحرفة كانت تعد في نظرهم من شان العبيد والخدم والأعاجم والمستضعفين من الناس، وقد يعود السبب في ذلك الاعتقاد إلى طبيعة العملية

---

[1] نافذ سويد، المرجع السابق، ص76.

[2] مولاي الحسن مغار، الحرف في الفكر والتاريخ بمجال المغرب الأقصى خلال العهد المريني، منشورات مركز تافيلالت للدراسات والتنمية والأبحاث التراثية، ط1، باب الخلق، القاهرة، 2018، ص19.

الحربية التّي ترى فيه امتهانا لشخصيته، بالإضافة إلى أنّه كان يرى في الحرف تقييد الحرية، وحدا من حركته، غير أنّ بعض الحرف والصنائع كانت تحظر عندهم بالقبول، ويمتهن الكثير منهم ويعملون فيها كالتجارة والصناعة، الغزل والنسيج، والدباغة والجزارة ... والتّي تنتشر في الحاضرة والبادية دون أدنى احتقار لمن يعمل في ذلك عندهم.[1]

إنّ تقديس العمل وإتقانه من القيم التّي يحرص الإسلام على غرسها والارتقاء بها إلى درجة العبادة، فكأن الإنسان في الإسلام خلق ليعمل وليحترف في نطاق العبودية، وعندما ظهر الإسلام جاهد الرسول (ﷺ) لتغيير المفاهيم الخاطئة لدى العرب حتى يرى أصحابه فيه وبالتالي يقتدون به، وينقلون ذلك إلى الناس، ولقد كان لدى العرب في العصر الجاهلي بعض الأعراف والعادات التّي آثرت عليهم في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، فقد كان العرب يحتقرون كثيرا من الحرف، بينما كانوا لا يأنفون الرعي ولا من التجارة، كما أنّ الزراعة كانت محترمة عند الحضر، وأمّا البادية فكانوا يحتقرونها ويأنفون منها، أما الصناعة فمنها ما هو مقبول عند العرب، كالغزل والنسيج الذّي ينتشر عند الحاضرة والبادية دون احتقار لمن يعمل ذلك عندهم، لكنهم بعد ذلك أصبحوا يحتقرون مهنة الحدادة ويسمون (الحداد) بالعبد أو بالقين أي العبد الرقيق.[2]

وفي جهاده (ﷺ) لتغيير مفاهيم الناس الخاطئة نحو الحدادة ، دفع الرسول (ﷺ) بابنه إبراهيم إلى زوجة أبي سيف الحداد لكي ترضعه ، وكان الرسول (ﷺ) يأتي إلى منزل أبي سيف ليرى ابنه إبراهيم ويجالس أبا سيف الحداد، حتى يرى الناس منه هذا السلوك فيقتدوا به في عدم احتقار الحدادة التّي كانت تعد عندهم من أدنى الحرف، وإلى جانبي ذلك كان الرسول (ﷺ) يعمل بيده الشريفة مع أصحابه الكرام، فقد عمل مع أصحابه في بناء مسجد

---

[1] عبد المعطي بن محمد بن محمد المعطي سمسم، المنظور الاجتماعي والاقتصادي للحرف والصناعات بمكة قبل البعثة من خلال كتاب الفاكهي، مجلة كلية التربية الإسلامية للعلوم التربوية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، بابل، العدد 26، 2016، ص71.

[2] عبد الحليم عويس، الحرف والصناعات في عصر الرسول (ص)، مجلة قصبة الإسلام، إشراف راغب السرحاني، 2019، د ب، ص17.

قباء وكان يحمل الحجارة بنفسه، ومن الأحاديث التّي وردت في الحث على الكسب والعمل باليد، وطلب الرزق، ما روي عن النبي (ﷺ) "ما اكتسب الرجل كسبا أطيب من عمل يده، قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: لأنّ المؤمن إذا لم يكن ذا حرفة تعيش بدينه"، وقد عمل الرسول (ﷺ) أيضا في غزوة الخندق، وكان يعمل في معظم الحرف.[1]

لقد حض الله عز وجل الناس على ممارسة الصناعة ومختلف المهن من خلال العمل وعلى ممارسة الصناعة ومختلف المهن، وقال تعالى: ﴿ **فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾، وفي هذه الآية دليل على تعدد المهن.[2]

وقد حض الله تعالى ورسوله على إتقان العمل، فقال تعالى: ﴿ **وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[3]، وقال (ﷺ): "إنّ الله يحب إذا عمل احدكم عملا أن يتقنه"، واعتبر الصانع من الطبقة العامة، بل وينظر إليه بازدراء، حتى أنّ القاضي النعمان يقول: "لقد رأيت كثيرا من أوباش الناس وعوامهم، ومن هو أقرب شبها بالبهائم منه بالناس كالصناع"، وهذا يدل على أنّ الصناعة لا يمارسها إلا من أوصدت أبواب الرزق الأخرى في وجهه، وإذا شارك الأغنياء فيها فلا يتم هذا بأبدانهم بل باستثمار أموالهم، وفي هذا يذكر إخوان الصفا في رسائلهم: "أنّ الغرض في كون الناس أكثرهم فقراء وخوف الأغنياء من الفقر، هو الحث لهم على الاجتهاد في اتخاذ الصنائع والثبوت فيها والتجارات"، فالقاضي النعمان يصف الصناع بأنّهم في "فقر مدقع وحاجة شديدة".[4]

وذكر أبو الفضل الدمشقي أنّه قيل قديما: "الصناعة في الكف أمان من الفقر وأمان من الغنى"، وذلك أن الصانع بيده لا يكاد كسبه يقصر عن إقامة ما لابد له ولا يكاد كسبه يتسع لاقتناء ضيعة أو عقد نعمة، وأيضا فأنّه مع ذلك إذا ميز الناس دخل في أدون

---

[1] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص17.

[2] جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص83.

[3] سورة النحل، الآية 93.

[4] نفسه، ص86.

طبقاتهم"، ويذكر الخشني أنّ عليا بن منصور الصفار وهو مختص بالصناعات النحاسية، قد اضطره الفقر والإقلال وهبة السودد إلى أن تشرق".[1]

كما تجدر الإشارة إلى أنّ الصحابة كان لهم دور في تغيير النظرة للحرف والصناعات في المجتمع، حيث نجد أنّ علي رضي الله عنه قال: "قيمة كل امرئ ما يحسن"، بمعنى أنّ صناعته من قيمته أي قيمة عمله الذّي هو معاشه، ويتجلى مما سبق أنّ الإسلام أعطى مكانة مقدسة للحرف والصناعات فساوى بينها وبين العبادة وفضلها على الجهاد والعلم لأنّ بها مكسب الإنسان ومعاشه.[2]

إنّ العمل يستمد قيمته من كونه عنصرا فعالا من عناصر الإنتاج، وأساسا مهما في بناء الحضارة والعمران، وقد كان ومازال ضرورة اجتماعية تفرضها الحاجات المعاشية على الأفراد، وجاء الإسلام فرفع شأن العمل إلى مصاف العبادة وجعله من الواجبات المفروضة على المسلم والحقوق التّي تؤديها الدولة له، فقد جاء ذكره في القرآن الكريم بشكل يؤكد بأنّه شرط أساسي من شروط الرزق، وحث الرسول (ﷺ) على بالعمل والكسب بقوله: "إنّ الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغني بها عن الناس"[3]، و "إنّ الله تعالى يحب المؤمن المحترف"، وفي ذات مرة أطرى أصحاب النبي (ﷺ) رفيقا لهم في السفر، كان لا يعمل شيئا سوى الصوم والصلاة، فسأل النبي (ﷺ) عمن كان يعيله؟ فقالوا كلنا، قال: "فكلكم أعبد منه"، وحكي أنّ النبي (ﷺ) رأى خشونة في يد سعد بن معاذ الأنصاري، فسأله عن السبب فقال: "أثر المسحاة أضرب وأنفق على عيالي"، فقيل أنّ الرسول (ﷺ) قبل يديه، وقال "هذه يد لا تمسها النار".

وعن الرسول (ﷺ) أيضا قوله: "لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يسأل أحدا فيعطيه قاو يمنعه"، وقد حث صحابة الرسول (ﷺ) على العمل والكسب أسوة

---

[1] جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص86.

[2] رويصات سارة، المرجع السابق، ص14.

[3] صباح الشيخلي، المرجع السابق، ص44.

به، فقد رفع عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الكسب إلى درجة الجهاد، وذكر له ذات مرة إتلاف شباب قريش أموالهم فقال: "حرفة أحدهم أشد علي من عيلته".[1]

وبالتالي يعد موقف الإسلام من الصناعة والحرف موقفا واضحا لا لبس فيه، فالعمل كان ولا يزال ميزان تقدم الأمة والمهارة في إتقانه هي مقياس الحضارة.[2]

أما بالنسبة للمغاربة، فإنّ موضوع الحرف في تاريخ المغرب الوسيط يكاد يكون منعدما في الحوليات التاريخية لندرة المادة العلمية، إذ لم تولِ تلك المصادر أهمية القطاع بالرغم من أنّه يشكل قطاعا أساسيا في اقتصاد أي دولة، فمعظم المؤرخين أحجموا عن ذكر الحرفيين واعتبروهم من "حثالة" المجتمع التّي تصنف في خانة الجهل والتفكير الساذج، والقدرات العقلية المحدودة، وبالتالي لم يكن لها أي وزن سياسي أو اجتماعي يفرض نحتها في ذاكرة التاريخ، ولإنصاف هذه الفئة الاجتماعية والكشف عن إبداعاتها الحرفية علينا الرجوع إلى مصادر أخرى تتجاوز دائرة التهميش التّي فرضتها عليهم الحوليات التاريخية.[3]

فنجد في بعض المصادر انخراط عدد كبير من ساكنة بلاد المغرب الأوسط في الحرف بعد تطورها بشكل يثير الاهتمام بحيث سايرت مقتضيات العصر ملبية حاجيات السكان إضافة إلى طغيان الطابع الأندلسي عليها منذ البداية، إذ تشير الرواية التّي نقلها المقري عن ابن غالب أنّه بعد وقوع الفتنة بالأندلس تفرق أهلها في المغرب الأقصى "فمال أهل الحواضر من الصناع إلى المدن واستوطنوها"، ذلك كان له أثر عظيم في تطور الحرف بالأندلس بفضل خبرات الأندلسيين ومهاراتهم في شتى الميادين والصنائع، إذ أشار ابن مرزوق في القرن الثامن الهجري إلى بعض أرباب هذه الحرف فتحدث عن

---

[1] صباح الشيخلي، المرجع السابق، ص45.

[2] نافذ سويد، الحرفيون ودورهم التاريخي في تطور المدنية العربيّة الإسلامية، مجلة التراث بالعربي، دمشق، العدد76، 1999، ص76.

[3] هشام المتوكل، عبد الرحيم الكوش، أثر الحرف التقليدية في تطور إنتاج الأسلحة بالمغرب خلال العصر الوسيط، المملكة المغربية، المجلد 03، ص27.

النجارين، الحدادين...، كما لاحظ المقري أنّه عندما أراد الموحدون اتخاذ أصونة للمصحف العثماني استعانوا بذلك بالصناع مما كان بحضرتهم واستحضروا آخرين من سائر البلاد، فاجتمع لهم المهندسين والمرصعين، النجارين...، ومما دعم هذا التوجه أكثر هو وفرة المواد الخام في المغرب الإسلامي من ثروات معدنية وأشار إليها بعض الباحثين.[1]

أكدت بعض الدراسات على نظرة المجتمع الإيجابية للعاملين في الحرف والصناعات، وعلى سعة الطبقة العامة وكثرة الصناع في المجتمع الأندلسي، وبينت أنّ وضع الصناع بصفة عامة لم يكن جيدا إذ كانت أجورهم قليلة ومستواهم المعيشي متدني.[2]

اهتم المغرب الإسلامي بالصناعة اهتمامه بالزراعة والتجارة، وأولى لها عناية فائقة، لوفرة مقوماتها، ولقد بلغت النهضة الصناعية في القرن الرابع الهجري، العاشر ميلادي، أوجها في الدولة الإسلامية، ولقد ساعد على هذا التقدم، تغير نظرة العرب إلى الحرف والمهن الصناعية، فرغم أهمية الصناعات في نظر المسلمين وما ورد في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وأن المفسرين لتلك الآيات يرون فيها أنّ الأصل في اتخاذ الصناعات والأسباب دليل على تعلم الصنائع، وأن التحرف بها لا ينقص من قدرهم بل يزيد من فضلهم، إلا أنّ المسلمين كانوا يأنفون القيام بمهنة الحرف والصناعات ويعتبرونها في منزلة دون منزلتهم، لذلك كان معظم أصحاب الحرف والمهن الصناعية من الموالي وأهل الذمة في المجتمع الإسلامي، وترك معظم المسلمين تلك الصناعات والحرف.[3]

---

[1] هشام المتوكل، المرجع السابق، ص27.

[2] عصمت عبد الحميد دندش، الأندلس في عصر المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني (510-546هـ 1116-1151م)، تاريخ سياسي وحضارة، دار الغرب الإسلامي للنشر، جامعة محمد السادس، المغرب الأقصى، ص235.

[3] سليم أبو طالب سليم، أثر المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية على الفكر الإسلامي، ط1، مكتبة مطبعة الإشعاع الفنية للنشر، مصر، 1999، ص136.

ومن المتغيرات الاجتماعية واختلاف الشعوب وتمازجهم وانصهارهم في بوتقة واحدة تغيرت نظرة المسلمين إلى الحرف والمهن الصناعية، فأقدم بعضهم على تعلم الصناعات من أيدي أربابها في تلك البلاد، وعمل الحكماء على نقل الكثير من الصناعات والحرف إلى مناطقهم وغيرها من الحواضر الجديدة التّي قدمت العمالة إليها لتوافر فرص العمل والكسب، ذلك ساعد على ظهور الاتحادات المهنية القوية التّي عملت على التنسيق بين مصالح أعضائها وبين مصالح الدولة، وترأس هذه الاتحادات المهنية القوية يلقب بالأمين أو الحريف، وهو ملزم بالمحافظة على آداب المهنة وحل مشاكلها، وكان هو المسؤول في بعض المناطق كالمغرب وغيرها من الحواضر على تحصيل الضرائب التّي تفرضها الدولة على المنتجات أو على المهنة في منطقته، وقد أصبحت هذه الاتحادات تشكل الجزء الرئيسي من العامة.[1]

ومما دعم هذا التوجه أكثر هو وفرة المواد الخام في المغرب الإسلامي من ثروات معدنية وأشار إليها بعض الباحثين منها:

- النحاس الذّي كان يسبك في قوالب، معروف منذ القديم في جبال أنيال، وعثر عليه أيا في مكان بين كلماديت وجبل صغرو وأمزيز ومنجم أكوجكال، وآخر في بليدة، وكانت إجلي قاعدة السوسن تعالج النحاس المسبوك، وبلغ عدد مصانع تسبيك النحاس والحديد قيل ذلك بفاس أيام المنصور والناصر إثني عشر مصنعا.[2]

وتطورت صناعة الحلي والمعادن في عهد المرابطين تطورا كبيرا لوجود المادة الخام مثل الذهب والفضة والزئبق والنحاس والرصاص والقصدير، فكان معدن الذهب يجمع من نهر لاردة وساحل الأشبونة، وكوردة تزمير...، وانتشر معدن الفضة في كورة تدمير وجبال حمة بجانة وإقليم كرتش من عمل قرطبة، وقد رأى الإدريسي بنفسه عملية

---

[1] سليم أبو طالب سليم، المرجع السابق، ص137.

[2] هشام المتوكل، عبد الرحيم الكوش، المرجع السابق، ص15.

استخراج الزئبق من مناجم بشمال قرطبة، وذكر أنّه يعمل بهذه المناجم أكثر من ألف عامل، وتقدمت صناعة الزجاج في هذه الفترة واشتهرت مالقة بالزجاج العجيب.[1]

ولما كان لابد للدولة الزيانية من الصنائع المختلفة والمتعددة ، إما في مجال البناء والتشييد والتجارة، أو في مجال إعداد العدة العربيّة من أجل مواجهة الخطر الخارجي، فالمعلومات الواردة في المصادر المختلفة تشير إلى أنّ موقف الدولة تجاه الصناع والحرفيين كان مشجعا، حيث يذكر يحي ابن خلدون إحدى تلك المواقف التّي أظهرت معالمها دار الصنعة السعيدة، التّي كانت تموج بالحرفيين على اختلاف أصنافهم وتباين لغاتهم وأديانهم، وتميزوا بإحكام الصنائع، حتى كانت تعرض أعمالهم في كل يوم بين يدي السلطان، ثم تخزن كلها بالحجر المعدة لذلك، ويدفع للعاملين اجورهم.[2]

وكذلك من بين مظاهر تشجيع الدولة للصناعة والحرف، مساندة المبدعين منهم وتكريمهم، مثال ذلك ابن الفحام (كان حيا 758ه/1357م)، مخترع ساعة عجيبة معقدة بتماثيل مختلفة، حيث أنّ ملوك المغرب جعلوا لهذا المخترع عطاء سنويا، وضع لتوفير الأمن والاستقرار بفضل ما بذله سلاطين بنو زيان من مجهودات لتحقيق ذلك ظهرت صنائع جديدة صاحبت التطور الجديد للمدينة، وعرفت مدينة تلمسان نوعا من التضامن والتعاون بين أصحاب كل طرف.[3]

المبحث الثاني: الحرف والصنائع في مصنفات كتب الغرب الإسلامي (ابن خلدون نموذجا)

1- التعريف بابن خلدون:

ولد ابن خلدون أعظم فلاسفة التاريخ في المشرق والمغرب في تونس سنة (732ه/1332م)، وتوفي في مصر في سنة (808ه/1406م)، فهو من عظماءِ القرن الثامن الهجري، وفي مصادرة أخرى ورد عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر

---

(1) عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص181.

(2) لخضر بلعربي، الحرف وتنظيماتها في مدينة تلمسان الزيانية، العدد الرابع، 2013، ص316.

(3) نفسه، ص318.

بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون، ولا يذكر من نسبه غير هؤلاء العشرة، واغلب الظن أنهم أكثر، وأنه سقط مثلهم عددا، لأنّ خلدون هو الداخل إلى الأندلس، فيكونون زهاء العشرين، لأنّ ذلك كان أوّل الفتح فالمدة لهذا العهد سبعمائة عام.[1]

واسمه أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون ولي الدين التونسي الحضرمي الاشبيلي المالكي، وأصله من أسرة أندلسية توطنت في أشبيلية، ثم نزح أجداده من أشبيلية إلى تونس في أواسط القرن السابع للهجرة، ويعود أجداد ابن خلدون بنسبهم إلى بني وائل من قبائل اليمن، ويردون هجرة جدهم الأعلى من اليمن إلى الأندلس، إلى القرن الثالث الهجري.[2]

كان العلم كما كانت السياسية من السمات التّي يعرف بها ابن خلدون منذ كانوا في الأندلس، لذا فقد تقلد ابن خلدون مناصب سياسية ووزارية وسلطانية ودبلوماسية على طول دول المغرب وعرضها، وفي الوقت نفسه قام بالتدريس في كبرى المساجد والمدارس في معظم البلدان التّي حل بها، مثل جامع القصبة في بجاية وجامع القرويين في تونس، والجامع الأزهر بمصر.

يعتبر تاريخ ابن خلدون بمقدمته الشهيرة أروع ما كتب، وقد سمى ابن خلدون تاريخه بـ"كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر".[3]

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، لبنان، 1979، ص03.

[2] محمد لطفي جمعة، تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات للنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1927، ص309.

[3] فيروز عثمان صالح، منهج الكتابة التاريخية عند ابن خلدون، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، 24 ديسمبر 2006، جامعة الخرطوم، ص39.

إنّ الفكر في معناه الفلسفي ووفقا للمقدمة هو مجموع النشاطات الاجتماعية التّي تهيئ المعاش وتنتج الحضارة، يتميز الإنسان عن الحيوان بذكائه- كما يقول الفلاسفة- ولكن بالتحديد "الفكر الذّي يهتدي به لتحصيل معاشه والتعاون عليه مع أبناء جنسه والاجتماع المهيء لذلك التعاون... وعن الفكر تنشا العلوم والصنائع، فليس الفكر إلا مجموع الصنائع التّي ينتجها، وينبغي هنا التأكيد على أن الفكر بهذا المعنى تتجلى إنتاجاته في المجتمع الحضري، لأنّ الصنائع إنما تكمل بكمال العمران وكثرته"، كذلك بالنسبة للعلوم "التّي تتزايد إذا استمر العمران وتوسعت الحضارة".[1]

ويشير إلى أنّ العرب أبعد الناس عن الصنائع، لأنّهم أعرف في البدو وأبعد عن العمران الحضري، وما يدعو إليه من الصنائع وغيرها، ولهذا نجد أوطان العرب وما ملكوه في الإسلام قليل الصانع بالجملة حتى تجلب إليه من قطر آخر، فمثلا أمم النصرانية وعجم المغرب من البربر كيف استكثرت فيها الصنائع واستجلبها الأمم، فالصنائع في المغرب قليلة وغير مستحكمة إلا ما كان من صناعة الصوف في نسجه والجلد في خرزه ودبغه، وكون هذين أغلب السلع في قطرهم لما هم عليه من حال البداوة، وأما المشرق فقد رسخت فيهم أحوال الحضارة ومن جملتها الصنائع.[2]

- مراحل حياته:

اجتاز ابن خلدون في حياته أربعة مراحل:

- المرحلة الأولى: النشأة والتحصيل العلمي، وتمتد من سنة (732-751هـ/1332-1351م)، قضاها في حفظ القرآن وتجويده وتحصيل العلوم.

---

[1] علي اوعليل، الخطاب التاريخي، دار التنوير للطباعة والنشر والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1985، ص208.

[2] عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د س، ص313.

- المرحلة الثانية: مرحلة الوظائف الديوانية والسياسية، وتمتد من أواخر سنة (751هـ-1351م) إلى غاية (776هـ-1375م)، قضاها متنقلا بين بلاد المغرب الأدنى والأوسط والأقصى والأندلس.

- المرحلة الثالثة: مرحلة التفرغ للتأليف، وتمتد من أواخر سنة (776هـ-1375م) إلى أواخر (784هـ-1383م)، قضى نصفها الأول في قلعة بني سلامة (قرب وهران)، والآخر في تونس.

- المرحلة الرابعة: مرحلة وظائف التدريس والقضاء، وتمتد من سنة (784هـ-1383م) إلى أواخر (808هـ-1406م) قضاها في مصر وتولى فيها القصاء عدة مرات.

ومات وهو يشتغل في هذا المنصب للمرة السادسة سنة (808هـ-1406م).

إنّ حياة ابن خلدون حياة حافلة في ذاتها، ثم هي فوق ذلك صورة من صور العالم الإسلامي في القرن الثامن للهجرة في مشرقه ومغربه.[1]

ولقد قسم كتاب ابن خلدون إلى سبع مجلدات، تطرقت في كل مجلد لعدة لمواضيع، فخصص الجزء الأول للعمران وما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب والمعاش والصناعات والعلوم، وأيضا الفصل الخامس تطرق فيه إلى المعاش ووجوه من الكسب والصناعات وفيه مسائل في الرزق والكسب وإنه قيمة الأعمال البشرية، وفيه المعاش وأصنافه ومذاهبه ونسبه، ووصف أمهات الصناعات في أيامه، كالزراعة والعمارة والنسيج (الخياطة والحياكة)، والتوليد والطب والغناء والوراقة... وغيرها.[2]

ويشير المؤرخون من أحوال الحجاج أنّ أباه كان من المعلمين، مع أنّ التعليم لهذا العهد من جملة الصنائع المعاشية البعيدة من اعتزاز أهل العصبية، والمعلم مستضعف

---

[1] مريم بوخاوش، مواقف ابن خلدون التاريخية من دول الغرب الإسلامي من منتصف القرن الثاني إلى منتصف القرن الرابع الهجري، مذكرة ماجستير في تاريخ المشرق والغرب في العصر الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2009، ص08.

[2] علي اوحليل، المرجع السابق، ص ص12-13.

مسكين، فيتشوف الكثير (بسبب هذا الغلط) من المستضعفين أهل الحرف والصنائع المعاشية إلى نيل الرتب ليسوا لها بأهل ويعدونها من الممكنات لهم، ولا يعلمون استحالتها في حقهم، وأنهم أهل حرف وصنائع للمعاش، وصار العلم ملكة يحتاج إلى التعلم، فأصبح من جملة الصنائع والحرف.[1]

فلما كانت حقيقة التاريخ أنّه خبر عن الاجتماع الإنساني الذّي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول مراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع.

ولما كان الإنسان متميزا عن سائر الحيوانات بخواص اختص بها، فمنها العلوم والصنائع التّي هي نتيجة الفكر الذّي تميز به عن الحيوانات، وشرف بوصفه على المخلوقات.[2]

2- أنواع الحرف والصنائع:

تعكس الصناعات والحرف في أي مجتمع درجة تطوره ونموه، وعلى هذا الأساس قد صنفت الصنائع حسب فائدتها بالشكل التالي:

أ- الصنائع الضرورية للمجتمع: كالفلاحة والبناء والخياطة والتجارة والحياكة.

ب- صنائع للجمال والزينة(الكمالية): كصناعة الحرير والوشي، وصناعة العطر وغيرها.

وكان أهل المغرب يطلقون على من يعمل في الصناعات لفظ(الصناع) وهم الذين يعملون بأبدانهم وأدواتهم في إنتاج مصنوعاتهم المختلفة، ويعيشون من بيع ما ينتجون،

---

[1] عبد الله شريط، نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون في الاجتماع والسياسة والثقافة، المؤسسة الوطنية للكتاب، بالجزائر، 1984، ص19.

[2] نفسه، ص23.

والشيء المعتاد في الصناعة هو حانوت يديره صانع واحد أو عائلة أو عدد من الشركاء، وقد يعمل الصانع في بيته.[1]

وكانت تتركز جميع الصنائع والحرف باستثناء المهن التي تتطلب مواقع خاصة في حوانيت حول السوق المركزي أو على طول الشوارع الرئيسية التي تؤدي إليها، وأحياناً كانت تقام هذه الحوانيت في الأزقة أو بجانب المساجد لأن المسجد في الغالب يكون في المركز الرئيسي للمدينة، فمن الطبيعي أن تكون الأسواق قريبة منه لشدة الزحام في مثل هذه الأماكن.

كما خصصت للنساء حوانيت، ليعملن الصنائع التي يحترفن فيها، خاصة صناعة الغزل والنسيج.

وهناك ثلاثة أصناف من الصناع في بلاد المغرب، الأول الصانع الخاص، وهو الذي يقوم مالك العمل باستئجار عمال يشتغلون تحت إشرافه، والثاني الصانع المشترك وهو ليس أجير، والثالث الصانع المتجول مثل صانع الأواني الحديدية أو الخشبية المخروطة، وينتقل من بلد إلى آخر حسب العرض والطلب.[2]

والحرفة قديمة قدم المجتمعات البشرية، ظهرت مع بدء حاجة الإنسان إلى القوت والسعي في تحصيله، لذلك مع بروز الدولة الإسلامية ازداد الإقبال على الحرفة وتعلمها وأصبح للعمل قيمة في المجتمع، وذلك من خلال توسيع العمران والأسواق، إذ يشير لابن خلدون في أحد فصول كتابه المقدمة، إلى أنّ الصانع إنما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته، وإن الناس ما لم يستوفى العمران الحضري وتتمدن المدينة إنما همهم في الضروري المعاش، وهو تحصيل الأقوات من الحنطة وغيرها، فإذا تمدنت المدينة وتزايدت فيها الأعمال ووفت بالضروري وزادت عليه صرف الزائد حينئذ إلى الكمالات

---

[1] كريم عاتي لميس الخزاعي، حارث علي عبد الله، أنواع الحرف في بلاد المغرب من خلال المعيار المعرب للونشريسي (ت914هـ-1509م)، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد 44، 2015، ص412.

[2] نفسه، ص413.

من المعاش، ثم من الصنائع والعلوم وإنما هي للإنسان من حيث فكره الذّي يتميز به عن الحيوانات والقوت له من حيث الحيوانية والغذائية فهو متقدم لضرورته على العلوم والصنائع، وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأنق فيها حينئذ وجودة ما يطلب منها بحسب دواعي الترف والثروة.[1]

ثم إنّ المحترف المتعلم لأي نشاط حرفي وهو طريق تعلم الحرفة وآلياتها يكتسب ملكة الشيء المحترف فيه، فنجد أعمال الحرفي المبتدئ غير دقيقة، لكن لما يبلغ درجة من الرسوخ والملكة والمهارة نجد أعماله في غاية الدقة، والواقع أنّ الحكومة الإسلامية بصفة عامة كفلت لها من أرباب الحرف والصناعات حرية واسعة في أعمالهم، ولم تتدخل إلا في بعض الصناعات المحدودة التّي تتطلب ممارستها الحصول على إذن خاص مثل صنع الأسلحة.[2]

ولقد تطورت وازدهرت الحرف والصنائع بتوالي الأجيال، ووفرة المواد الأولوية واتصال العمران، وقسمت ووفقا لذلك إلى قسمين حسب فائدتها كالصنائع الضرورية والصنائع المكملة كما سبق الإشارة إليها، وحسب موضعها كالصنائع الجسمانية والحرف اليدوية وأيضا الصناعات المركبة والصناعات البسيطة.[3]

ويعتبر ابن خلدون عبد الرحمن من الأوائل الذين وجهوا من اهتمامهم إلى الحرف والصنائع، وخصص لها بابا كاملا سماه بـ"المعاش"، وجوهه عن الخياطة والفلاحة والتجارة حيث قال: "اعلم أنّ الصنائع في النوع الإنساني كثيرة لكثرة الأعمال المتداولة في العمران"[4]، وأن الحضارة هي أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال

---

[1] كريم دهماوي، بودالي يحياوي، الحرف والصنائع في تلمسان من خلال كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد لحي ابن خلدون، جامعة سعيدة، 2016، ص37.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المصدر السابق، ص24.

[3] نفسه، ص25.

[4] نفسه، ص201.

العمران تتفاوت بتفاوت الرفاهية، ويقع فيها كثرة التفنن في أنواعها وأصنافها فيكون بمنزلة الصنائع ويحتاج كل صنف إلى القوة عليه، والمهارة فيه وبقدر ما يتميز من أصنافها يتزايد أهل صناعتها، وتتكرر أمثالها تزايدا واستحكاما ورسوخا وأكثر ما يكون في الأمصار لاستبحار العمران وكثرة الرفه في أهلها، وتستحكم لديهم بالصنائع في سائر فنونه، وهذه هي الحضارة في جميع مفاهيمها.[1]

كما أدخل ابن خلدون مهنة التعليم والاحتراف ضمن الصناعات المعاشية، ووضح اختلافه عن التعليم الشعبي العام الذّي ظهر بظهور الدعوة الإسلامية، من حيث الأصول الاجتماعية للإطارات الساهرة عليها، فتولي هذه المهمة التعليم إبان الدعوة، وبعد الفتوحات جماعة من العرب ذات انتماء عصبي، بينما أخذ من مهنة التعليم الاحترافي فئات اجتماعية متباينة[2]، واعلم أن بالصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري وبكونه عمليا هو جسماني محسوس والأحوال الجسمانية المحسوسة نقلها بالمباشرة أو عب لها أو أكمل لأنّ المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فإذا وعلى قدر جودة التعليم يكون المعلم حذق وملكة المعلم يكون حذق متعلم في الصناعة.[3]

وإن التعليم الاحترافي هو ذلك التعليم الموجه إلى النشأ (7-20 سنة) غالبا، يعتمد في تلقيه على اللغة العربيّة الفصيحة، وهناك من الطلاب من يتخذ الرحلة والتنقل مقصدا لطلب العلم بين حواضر العالم الإسلامي، ثم يعودون إلى بلادهم بعلم وافر غزير.[4]

حيث يؤهلهم ذلك العلم الغزير الوفير، ويؤهلهم لترأس مجالس العلم ويصبحون من كبار المشايخ سفي بلدانهم ويتبوؤون المشيخة العلمية للتدريس، كما توصل لهم أعلى المناصب الإدارية بالدولة، فيصير الطالب في الثلاثين من العمر، ويكون ملتزما

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، المصدر السابق، ص250.

[2] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص343.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ص306.

[4] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص343.

بالتحصيل والدراسة[1]، وعلى قدر جودة التعليم وملكة المعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته، ثم إنّ الصنائع منها البسيط والمركب، والبسيط هي الذّي يختص بالضروريات، والمركب الذّي يكون للكماليات وأن خروج الأشياء من القوة إلى الفعل لا يكون دفعة لاسيما في الأمور الصناعية، ولابد له إذا من زمان ولهذا نجد الصنائع في الأمصار الصغيرة ناقصة، ولا يوجد منها إلا البسيط، فإذا تزايدت حضارتها ودعت أمور الترف فيها إلى استعمال الصنائع فخرجت من القوة إلى الفعل.[2]

كما نجد أيضا معالم الاهتمام والتعريف بالصناعة واضحة أكثر في النصوص الخلدونية التّي تعد من أمهات المتون التّي شكلت المنطلق النظري للعديد من الباحثين في موضوع الصنائع، إذ يعرفها بمفهوم أكثر وضوحا واتساقا[3]، وقسم إخوان الصفاء المجتمع باعتماد عدة أسس في التصنيف بين ديني حينا ودنيوي أحيانا، والجمع بينهما أحيانا أخرى، وبين تصنيف مادي ما يلي: "فالناس كلهم صناع وتجار وأغنياء وفقراء"، وهذا التصنيف من خلال معاش الإنسان، فتقديمه للصناع دليل على تبجيلهم واحترامهم للمهن، فالصناع هم الذين يعملون بأبدانهم وأدواتهم في مصنوعاتهم الصور والنقوش والأصباغ وعرضهم لصلاح معيشة الحياة الدنيا.[4]

ولقد ركز ابن خلدون على المعاش لبساطة في الأمصار التّي استجير فيها العمران فشدة طلب الصنائع دليل على ترف المصر وكثرة عمرانه، وحاجة هؤلاء إلى الصناع في المدينة، فكان لهم فخرا واعتزازا بكثرة الطلب، وأشار أنّ الصنائع بالمغرب قليلة وغير مستحكمة.[5]

---

[1] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص343.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ص306.

[3] مولاي الحسن مغار، الحرف في الفكر والتاريخ بمجال المغرب الأقصى خلال العصر المريني، منشورات مركز قيلات للدراسات والتنمية والأبحاث التراثية، ط1، باب الخلق، القاهرة، 2018، ص19.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ص307.

[5] دلال لواتي، عاصمة القيروان في عصر الأغالبة، الرؤية للتوزيع والنشر، ط1، القاهرة، 2015، ص276.

وهناك من النصوص الخلدونية التّي شكلت المنطلق النظري للعديد من الباحثين خاصة في موضوع الصنائع التّي فصلت في الإشكالية ووضعت سباقا مفهوميا واضحا فيما بين المصطلحين، وقد عرف ابن خلدون الصناعة بأنّها ملكة في أمر عملي فكري، ويسمى حاليا (التقنية)، فهي تحتاج إلى العلم والممارسة اليدوية حتى ترسخ مع الزمن وتصبح (ملكة)، ولا تكون إلا في مجتمع متحضر ووجودها بدل على درجة التحضر والعلم، فلابد أن تكون فئة من المسلمين تتقن هذه الصناعة[1]، وهذه الصناعة تحتاج إلى الهندسة في جميع أصنافها، لذلك كان الأئمة اليونانيون أغلبهم مهندسين، فكان أوقليدس صاحب كتاب الأصول في الهندسة نجارا، يقال: "أنّ معلم هذه الصناعة في الخليقة هو نوح عليه السلام".[2]

كما نجد صاحب المقدمة يميز في نصوصه بين الصنائع فمنها ما يعتبر من ضروريات العمران مثل النجارة، ومادتها الخشب، وله من المنافع ما لا ينحصر، كاتخاذه وقود للنيران في المعاش، وعصيا للاتكاء والذود...وغيرها من الضروريات، ودعائم لما يخشى سبيله من أثقال الإنسان، ثم بعد ذلك منافع أخرى لأهل البدو والحضر، فأما أهل البدو فيتخذون منها العمل والأوتاد طياتهم والخدوج لظعائنهم والرماح والفتي والسهام لسلاحهم، وأما أهل الحضر فالسقف لبيوتهم والأغلاق لأبوابهم، والكراسي لجلوسهم، وكل واحد من هذه فالخشبة مادة لها، ولا تصير إلى الصورة الخاصة بها بالا بالصناعة.[3]

وهناك من الصنائع التّي تعتمد أساسا على الإنتاج الزراعي الحيواني كمواد أولية لها أثر كبير في إنعاش هذا النشاط بمختلف المراكز الحضرية والقروية، ومن هذه الموارد الصوف، وبر الجمال، شعر الماعز، ولم يقتصر النسيج على استخدام هذه المواد الحيوانية بل تم استخدام القطن أيضا، وأيضا الحرير.[4]

---

[1] بلبشير عمر، مساهمة النشاط بالصناعي والحرفي في المغرب الإسلامي، مخبر البحوث التاريخية والاجتماعية، العدد 04، 2013، ص287.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ص447.

[3] نفسه، ص446.

[4] بلبشير عمر، المرجع السابق، ص295.

ومن جهة أخرى شهد مجتمع الغرب الإسلامي نشاطا حرفيا متميزا ذكرته لنا المصادر التاريخية المختلفة، إذ أنّ المجتمع البدوي يقتصر في حياته على البداوة والحياة البسيطة، وتكون حاجتها للإنتاج الصناعي قليلة، واعتمادها على حرية التنقل والترحال من مكان لآخر سعيا وراء الكلأ والماء، من غير أن يعرف حياة الاستقرار والبناء والإنتاج، وبالتالي فإنّ عدم توفير الاستقرار لا يساعد بطبيعة الحال على ممارسة الصناعة، كما أنّ البدو لا يميلون إلى حياة العمران والترف، والانخراط في تبعتها، وتطوير الصناعة، بل يفضلون ما توارثته من عادات وتقاليد وتفاخر شجاعتهم وفروسيتهم واعتبروا كل المشتغلين بالصناعة دونهم مرتبة وشرفا.[1]

أما المجتمع الحضري والمستقر فلم ير بأسا في الاشتغال بالصناعة متى أصبحت جزء من حياتهم، وكانت أساس اقتصادهم، وإلى هذا أشار ابن خلدون في قوله: "...فاذا تمدنت المدينة وتزايدت فيها الأعمال، ووفت بالضروري وازدادت عليه صرف الزائد حينئذٍ إلى الكمالات من المعاش... وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للمتأنق فيها حينئذٍ، واستجادة ما يتطلب منها، بحيث تتوفر دواعي الترف والثروة.

وبذلك نجد حياة البدو لا تحتاج إلى صناعات معقدة بعكس حياة الحضر التّي اتسمت بتطور الحياة وما تحتاجه، فانتشرت الحرف وحظيت بمكانة دينية سياسية اقتصادية متميزة، كوان لها أثرها على سكانها فأقبلوا على امتهان الحرف والصناعات المختلفة من أجل التشييد والبناء والأخذ بوسائل الترف.[2]

ومن الجدير بالذكر أنّ الحرف كانت وراثية في الغالب، يتعلمها الولد عن ولده، وتنحصر في الأسرة الواحدة، وتنتقل بالوراثة من الآباء إلى الأبناء، ومن عادة تلك الأسر الاحتفاظ بسر المهنة، ولا يسمح للغرباء عن الأسرة تعلمها، ولا أن يقف على أسرارها

---

[1] عبد المصطفى بن محمد بن عبد المعطي سمسم، المنظور الاقتصادي والاجتماعي للحرف والصناعات بمكة قبل البعثة من خلال كتاب الفاكهي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد 26، جامعة أم القرى، بابل، 2016، ص71.

[2] عبد المعطي بن محمد، المرجع السابق، ص71.

وبخاصة الحرف المريحة، والتّي تحتاج إلى مهارة ودقة وذكاء، خوفا من قيام منافس لأصحاب الحرفة في عملهم، وانتزاع الرزق منهم، وكان أصحاب الحرفة الواحدة يقومون بتجميع بعضهم مكونين جماعة أو طبقة خاصة بصنف الحرفة التّي يمتهنونها ويتعاونون فيما بينهم، ويتولى رئاستهم أبرز رجال الحرفة، وسط أماكن معينة (أسواق) خاصة بهم وتعرف بحرفتهم كسوق الحدادين، أو سوق النجارين.[1]

وبما أنّ الحرفة هي الكسب والمعاش وتكون بالصنائع أو التجارة[2]، وتعد هذه الأخيرة شراء الصانع السلع وادخارها يتحين بها جولة الأسواق بالزيادة في أثمانها ويسمى ربحا ويحصل منه الكسب والمعاش للمحترقين بالتجارة، وأحيانا الاكتساب يكون بالأمر المركب في المغالبة والاحتيال، وهي كتجارة السلطان التّي تكون فيها الطروح والاتباع والبيع، وكذلك معاملات ذوي الجاه العريض في تضمينهم أملاك الرعية وضع العامة من البيع والشراء بما يحتاجون إليه.

والرياسة التّي تكال بها الحياة الدنيوية مقسومة بين السيف والقلم، فأما رياسة السيف فللملوك والأمراء والحجاب وقواد العساكر ووجوه العشائر، فأما رياسة القلم فالوزراء والكتاب والقضاة...وأصحاب السيوف هم الحماة وأصحاب الأقلام هم الكفاءة، وكل صناعة غير هاتين، فليس يذكر صاحبها بعز، قال الشاعر:

لا تطلبن معيشة بمذلة فليأتينك رزقك المقدور

وأما الصنائع العملية وهي المهن، فقد قيل قديما الصناعة في الكف أمان من الفقر وأمان من الغنى، وذلك أنّ الصانع بيده لا يكاد كسبه يقصر عن إقامة ما لابد له منه، وأما الصنائع التي كرهها الحكماء الأخيار فمنها الصنائع المضرة.[3]

---

[1] عبد المعطي بن محمد، المرجع السابق، ص71.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ص301.

[3] أبي الفضل جعفر بن علي الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ومعرفة جيد الأعراض ورديئها وغشوش المدلسين فيها، مطبعة مؤيد للنشر، 1901، ص41.

المبحث الثالث: المقومات الحرفية والصناعية بالغرب الإسلامي

ترتبط الحرف والصناعات بالحياة اليومية لأي مجتمع، وتشكل أهم مقومات الشعوب لأنّها المرآة العاكسة لهويتها وأصالتها، حيث ساهمت في تطور الحضارة الإنسانية منذ العصور البدائية، حيث بدأ يشكل أدوات تساعده في تلبية حاجياته الضرورية، هذه الحاجات تحولت فيما بعد إلى صناعات بسيطة ومنتجات حرفية، وتلك الصناعات تطلبت مجموعة من المقومات أبرزها:

1- الأيدي العاملة:

من المقومات الرئيسية لقيام الصناعة وازدهارها الأيدي العاملة الماهرة والمؤهلة لأداء الأعمال الموكلة لها، فأطلق على من يعملون في الصناعات المختلفة صناعا، واشتهرت العديد من المدن في العرب الإسلامي بصناعها، كما ذكر ابن الزرع (ت 726هـ-1326م)، أنّ أكثر الأهالي في عدوة القرويين بفاس القديمة كانوا صناعا[1]، وفي تلمسان كان الصناع فئة كبيرة يعيشون حياة كريمة وينعمون بأوقات لراحتهم.[2]

وتونس كان أغلب سكانها من الصناع وبخاصة صناع النسيج، واتصف صناع الغرب الإسلامي بالدقة والجد والصبر في أداء أعمالهم، فجاء وصف ابن غالب مصداقا لهذا القول عند حديثه عن صناع الأندلس بقوله: "صينيون في إتقان الصنائع العملية وأحكام المهن التصويرية، فهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الأعمال ومقاساة النصب تنسيق الصنائع".[3]

لقد ذكرت كتب الرحلة والجغرافيا عن وفرة اليد العاملة المؤهلة في المغرب الأوسط، والتّي عملت في الكثير من الحرف والصناعات اليدوية كالصناعات المعدنية والنسيجية الذهبية والقطنية والجرف والبناء...الخ، حيث يذكر الإدريسي في قوله: "وبها

---

(1) محمود هدية، المرجع السابق، ص55.

(2) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص223.

(3) المرجع نفسه، ص223.

من الصناع والصناعات ما ليس بكثير من البلاد"، مما يدل على تنوع الصناعات التّي ينتجونها واختلاف مهام العاملين والصناع.[1]

2- المواد المعدنية والنباتية:

لا جدال في أنّ المغرب الإسلامي يمتاز بتنوع معادنه وثروات باطن أرضه، وإذا كان قد افتقر إلى التبر، والذّي يتم جلبه من السودان الغربي لتجاوز هذا العائق، مقابل مواد موضحة محليا، وباستثناء الذهب فإنّ المصادر الجغرافية والتاريخية تشير إلى وجود معادن أخرى قاربت الذهب من حيث قيمتها المتداولة في أسواق العصر الوسيط، إذ تشير إلى وفرة المعادن خاصة الحديد حيث كان متواجد بوفرة كبيرة في العرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة، مع وجود الزئبق قرب مدينة أرزيو والحديد في بجاية وكثرة مناجمه، أما مدينة طنجة فقد اشتهرت بالرخام والأحجار الكريمة، ومعدن النحاس بمنطقة "إيجلي"، قاعدة الصناعة ببلاد السوس بالمغرب الأقصى والنحاس الأحمر بآغمات.[2]

وأشار حسن الوزان إلى وجود مناجم الحديد في بني سعيد المجاورة لفاس، إذ كانت تصنع منه السيوف، وعرفت منطقة الزيايدة بوفرة هذا المعدن أيضا، إضافة إلى وجود معدن الحديد قرب الصويرة ببلاد الشاطمة، وتحتوي الجبيلات على نشاط آخر يعد مشهورا بمخزونه من الحديد، هذا بالنسبة للحديد، أما عن الرصاص والفحم فيوجد الرصاص في قرية الصحاورية بحدود الريف من جبال غمارة، قبيلة بني زيان، أما الفحم فأنّه متوفر بشكل كبير بالمغرب نظرا لسعة مساحات الغابات.[3]

---

[1] مريم بوقري، اقتصاد المغرب الأوسط في القرنين 4-5ه/10-11م، إشراف هارون فاطمة، جامعة أكلي محند الحاج، البويرة، 2019، ص90.

[2] عمر بلبشير، المرجع السابق، ص300.

[3] أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس العسيني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، ط1، بيروت، 2007، ص231.

وإن وفرة معدن الحديد بكل من المغرب الأوسط والزئبق قرب مدينة أرزيو، كل هذه المواد الخام ساهمت في ازدهار الحرف وتنوع الإنتاج ووفرته، وذكر البكري أنّ جبل أرزيو كان يحوي كميات كبيرة من معدن الحديد والزئبق، فاستفاد حرفيو تيهرت من هذه المواد والدليل على ذلك ما عرفته من توسع عمران ونشاط اقتصادي.[1]

يطلعنا البكري كذلك على وجود معدن الحديد قرب مدينة أرزاو في قوله: "وبقرب مدينة أرزاو جبل فيه قلاع ثلاث ميسورة ورباط يقصد اليه، وفي هذا الجبل معدن للحديد والزئبق"، ويشير أيضا إلى وجود معدن النحاس بجبل كتامة، ولوفرته يحمل إلى إفريقية وغيرها من البلدان، ومن خلال المصادر الجغرافية يلاحظ أنّ بلاد المغرب الأوسط غنية بالمعادن من حديد، نحاس، رصاص، ولوفرتها وزيادتها عن الحاجة توجهها إلى البلاد المجاورة.[2]

كان المغرب الأوسط في عهد الدولة الزيانية يزخر بإمكانيات ومواد طبيعية نباتية إضافة إلى وفرة المياه المتمثلة في العيون والينابيع والقنوات والأنهار منها نهر الشلف، والأراضي التّي تتدرج من سهل الشلف من أجود الأراضي، وكذلك أراض سهل متيجة، كلها أصبحت مصدر الثورة، وساهمت بازدهار الفلاحة إلى جانب سهل تسلة الذّي يزود وحده تلمسان بما تحتاجه من حبوب، كما اشتهرت منطقة تيهرت بزراعة الحبوب لكثرة مياهها وقرب التلال الصالحة للزراعة، أما حوض الشلف فيتميز بوفرة مجموعة من المحاصيل منها القمح والشعير والحنطة، واشتهرت الدولة الزيانية بالإنتاج النباتي والحيواني، كما توفرت على بعض المعادن التّي سمحت بقيام صناعة معدنية منها الحديد بمدينة هنين.[3]

---

[1] محمد بوشناق، مقومات النشا الحرفي وتنظيمه في عهد الرستميين (160-296هـ/777-909م)، العدد الرابع، جامعة سيدي بلعباس، 2013، ص ص157-158.

[2] خديجة بورملة، الحياة الاقتصادية في المغرب الأوسط من خلال الكليات الجغرافية، قسم التاريخ وعلم الآثار، دورية كان، العدد 34، جامعة وهران، 2016، ص97.

[3] علوى مصطفى، الأحوال الاقتصادية للمغرب الأوسط من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين المغاربة ما بين القرنين (7-8هـ/13-15م)، الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة طاهري محمد، بشار، ص ص34-35.

تشير النصوص الجغرافية إلى غنى إقليم المغرب الأوسط بالمعادن في مجموعة من المدن بها أو بالجبال المجاورة لها، ويذكر هؤلاء الجغرافيون العرب عدد من المناجم تستخرج منها مختلف المعادن وخاصة مادة الحديد، إذ تعتبر مجانة[*] من المدن المشهورة بتنوع المعادن ووفرتها حتى أنّها كانت تعرف بمجانة المعادن، ويقول القزويني عنها: "بها معادن الفضة والحديد والزنك والرصاص والكحل، وفي جنوبها جبل تقطع فيه أحجار الطواجين وتحمل إلى سائر بلاد العرب"، وتفرق كذلك بمجانة المطاحن لتوفر أحجار المطاحن بها.[1]

لقد كانت المواد المعدنية متوفرة في إفريقية لكن ملكيتها للأمير أو الوالي، فقد أكد سحنون أن الإمام مالك سئل أنّه بلغه عن المعادن التّي ظهرت بأرض المغرب فقال ذلك إلى الوالي أن يقطع بها إلى الناس ولم يرها أهلها، أما الذهب فقد حلل بيعه، وحينما سئل أن يكون فيه غر وهو مختلط بالحجارة، فقال: قد عرفوا ناحيته، وفي مكان آخر في المدونة يؤكد ابن سحنون أن ملكية العقار أو المعدن ملك السلطان أو الأمير إذا كانت الأرض فتحت عنوة، أما إذا كانت صلحا فهي ملكا لهم، والمعادن عليها أيضا زكاة تفرق على الفقراء، أما عن أماكن تلك المعادن، فقد أشار اليعقوبي إلى مجانة كأهم مركز معدني في إفريقية، إذ تزخر القيروان بمعادن الفضة والكحل والحديد والزنك والرصاص، ويستخرج معدن الحديد في كل من الأريس وبونة، بلزمة، كما يوجد الحجر الأزورد الجيد ومعدن النحاس في جبال كتامة، ويكثر الذهب في جربة، واشتهر مرسى الخرز بمعدن المرجان[**].[2]

---

[*] يقول عنها الإدريسي: مدينة صغيرة عليها سور تراب... ولهم واد غزير الماء يأتي من جبل بمقربة منها...وهو شاهق ومنه تقطع أحجار المطاحن.

[1] أبو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، ط1، ج2، 2003، ص231.

[2] دلال لواتي، عامة القيروان، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2015، ص288.

[**] المرجان: نبات ينبت كالشجر في الماء ثم يستحجر في نفس الماء بين جبلين عظيمين، والعاملون فيها يكثرون الأكل والشرب ولهم بها مكاسب وافرة.

تتفق جميع المصادر الجغرافية على أنّ أجود أنواع المرجان هو المرجان(**) المستخرج بمن مدينة مرسى الخرز، حيث يقول أبو حامد الغرناطي في فصل يخصصه لذكر خصائص البلاد بفي الأحجار الكريم: "فيروج نيسبور وياقوت سرنديب، وزير جد مصر، وعقيق اليمن، وجزع ظفار ويحاذي بلخ، ومرجان إفريقية"، بالإضافة إلى مرسى الخرز استخراج المرجان من مدينة بونة، غير أنّه لا يضاهي جودة مدينة مرسى الخرز، وهو ما يؤكده أبو الفداء في قوله: "وجدت بها عن قريب مغاص على المرجان ليس كمرجان مرسى الخرز"، إنّ هذه النصوص التّي تتفق على غنى مدينة مرسى الخرز بمعدن المرجان من حيث الكم والنوع تؤكد على وجود حركة نشاط وحركة حرفية والسعة في المنطقة، فمن البديهي استغلال هذه المادة وتحويلها إلى منتجات حرفية بواسطة مجموعة من الحرفيين والصناع.(1)

أشارت أيضا بعض المصادر إلى ما بالمغرب من معادن الفضة والحديد والكبريت والرصاص والزئبق، حيث أنّه توجد منطقة فيما بين سبتة ووهران في موضع قريب من ساحل البحر يسمى "المسامان" فيه معدن حديد، وفي ما بين سلا ومراكش قريبا من احل البحر الأعظم بمقدار يوم أو أكثر قليلا موضع يدعى "إسنتار" فيه معدن حديد ايضا، وليس هذا الموضع على طريق السفار، إنما يقصده من أراد حمل الحديد منه، وبالقرب من مكناسة حصن يدعى "وركناس" فيه معدن فضة إضافة إلى معدن زجندر الذّي بسوس، وغير أنّ فضته أقل جودة، وأيضا معدن النحاس موجود بسوس ومعدن توتيسا(*) أما بجزيرة الاندلس معادن كثيرة أيضا، فمنها معدن فضة ببلاد بالروم من الجهة المغربية بموضع يدعى "شنترة" وعلى أربع مراحل من مدينة قرطبة موضع يسمى "شلون" فيه معدن زئبق منه يفترق الزئبق على جميع المغرب، وفي أعمال المراية وعلى يوم ونصف منها موضع يعرف "دلاية" فيه معدن رصاص، وبموضع يسمى "بكارش" فيه معدن حديد.

---

(1) خديجة بورملة، المرجع السابق، ص96.

(*) التوتيسا: هي المادة التي يصبغ بها النحاس الأحمر، فيصير أصفرا.

فهذا جملة ما بالأندلس من المعادن، فأما الذهب فمسوق إليها من بلاد السودان الغربي.[1]

كما نقل المسعودي في حديث مدينة النحاس، وأنها مدينة من نحاس بصحراء سجلماسة طرقها هو بين ابن نصير في غزالة بالمغرب، وأنها مغلقة الأبواب وأن الصاعد إليها من أسوارها إذا أشرف على الحائط صفق ورمى بنفسه فلا يرجع آخر الدهر.[2]

إنّ الثروات الطبيعية تشكل احد دعائم الصناعة في أي منطقة من العالم، ففي المغرب الأوسط لعبت دورا بارزا في إمداد الصنائع وتموينها بمختلف المواد الأولية- المصدر الأساسي لقيامها- واستمراريتها في المجتمعات الاقتصادية، ولاشك أن ما وصل اله الواقع الاقتصادي بالمغرب الأوسط خاصة في فترة الموحدين والزيانيين من التطور والازدهار كان من وراء كثرة الإنتاج، ومن خلال مصادر الرحلات وكتب الجغرافيا هناك إشارات توحي بغنى المجال الطبيعي للمنطقة بهذه الأسس المتمثلة في الثروة المعدنية (الحديد، النحاس، الفضة...الخ) كل هذه الثروات ساعدت على قيام الصناعة التعدينية أو التحويلية بالمغرب الأوسط، ولا تأتي إلا بتوفر قاعدة من بالمناجم المعدنية، فكانت مناجم الحديد بفحص سيرات، وبمدينة تفسره حيث كان أغلب سكانها لا يشتغلون بغير خدمة الحديد ونقله إلى تلمسان، وعلى مقربة من هنين جبل فيه مناجم كثيرة للحدي والفولاذ هذا من جهة.[3]

من جهة أخرى مثلت الصناعة نشاطا اقتصاديا هما يعتمد عليها المواطنون في الدولة المرينية، إذ أمدت هذه الصناعات المواطنين باحتياجاتهم ولوازمهم، فيذكر بعض المؤرخين أنّ مدينة فاس قاعدة الصناعة الرئيسية في المغرب الأقصى توفر المواد الأولية

---

(1) أبي محمد عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه: صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية للنشر، صيدا، بيروت، 2006، ص260.

(2) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ص ص59-60.

(3) لخضر العربي، محمد بن معمر، موارد الصناعة الحرفية في المغرب الأوسط ما بين القرنين (6-9ه/12-15م)، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مجلد9، العدد1، جامعة وهران1، 2018، ص ص332-333.

المعدنية منها والنباتية وغيرها، حيث كان بها أواخر العصر الموحدي ثلاثة آلاف وأربعة وتسعين دار لصناعة الأطرزة وتسعة وأربعون دار صناعة الصابون وستة وثمانون دار الدباغة، ومائة وستة عشر دار الصباغة، واثنا عشر دار السباكة الحديد والنحاس، وأحد عشر دار الصناعة الزجاج، وإلى جانب توفر المواد الخام، توفرت الخبرات اللازمة للتقدم الصناعي في بلاد المغرب، وقد اكتسب الصناع خبراتهم في العصر الوسيط من رصيد الخبرة التّي كانت في عهد الموحدين والتّي تضخمت بسبب الخبرات الوافدة إلى المنطقة من بلاد الأندلس.[1]

أما بالنسبة لمعدن النحاس فتشير المصادر التاريخية إلى أقدم منجم كان يزود بلاد المغرب الأوسط بمعدن النحاس هو منجم كتامة حيث يذكر البكري: "...وعلى هذه المواضع كلها من جبال كتامة معادن النحاس ومنها يحمل إلى إفريقية وغيرها..."، واستمر عمل هذه المناجم حتى أواخر القرن الخامس وتراجعت المناجم في إنتاجه خلال (ق6-7هـ/12-13م)، إذ كان يستورد من أوروبا، أمّا في المغرب الأقصى فقد اشتهرت منطقة داي بالنحاس الخالص الذّي يحمل إلى معظم بلاد المغرب، أما الذهب فيعتبر النشاط الأساسي للتجارة المغربية الإسلامية، وهو متعدد الاستخلاصات فيضرب نقودا وحليا، ويفتل خيوطا في معامل الطرز وعددا من حوانيت الوراقة، وتتضمن المصادر العديد من الإشارات مفادها أنّ ذهب بلاد السودان كان رائجا في الأسواق المغربية والأوروبية، وكانت مملكة غانا أكبر مناطق السودان إنتاجا للذهب.[2]

أما الفضة، فالمصادر الجغرافية التّي اطلعنا عليها لا تتوفر على معلومات كافية حول مناجم هذا المعدن، إلا في موضع واحد ببلاد إفريقية في مدينة مجانة التّي اشتهرت بحجارة المطاحن، أما اقتصاديا فهذا المعدن كان حاضرا بقوة، وفدور السكة التّي كانت

---

[1] عمر بلبشير، المرجع السابق، ص290.

[2] لخضر العربي، المرجع السابق، ص334.

منتشرة بحواضر المغرب الأوسط كانت تضرب الكثير من النقود الفضية التّي يتم تداولها بين فئات المجتمع المختلفة في حياتهم اليومية.[1]

وتوفرت في بلاد الأندلس المادة الخام التّي اعتمدت عليها الصناعة لتصنيع منتجاتها المختلفة، وبذلك عرفت أنواعا مختلفة من الحرف والمهن، ومما لا شك فيه أنّ لكل نشاط صناعي حرفي صناع وحرفيون مهرة في عدة مجالات[2]، كل ذلك ساهم في نمو النشاط الحرفي والصناعي في مدن المغرب الإسلامي عامة والمغرب خاصة، وأيضا بفضل القاعدة الصناعية التّي خلفها الموحدون، إذ تأثرت تلك المراكز الصناعية بالهجرات السكانية، وأبرز الصناعات التّي تلبي حاجيات السكان اليومية: الصباغة، الحجامة، التطبيب، الطحن، الخراطة...الخ، إضافة إلى صناعة النسيج، فمن القرائن على ذلك أنّ مدينة وهران كانت تعج بالحاكة، وأيضا مستغانم بها كثير من صناع النسيج حسب رواية الوزان، كما انتشرت هذه الحرفة أيضا في سلا وفاس بالمغرب الأقصى.[3]

وتطرق إخوان الصفا إلى المواد المستعملة في الصنائع، إذ أشاروا إلى أنّ الصنائع تحتاج إلى نوعين من المواد، البسيط مثل النار والهواء والماء والأرض، والحركي يحتاج إلى الأجسام المعدنية والأجسام النباتية، والحرفيون يحتاجون إلى أدوات(*) وآلات(**)، كما أشاروا أيضا إلى المواد الأولية التّي تحتاجها كل حرفة وصناعة، فالماء مثلا يدخل في صناعة الملاحين والسقائين والروائيين والشرابين والسباحين، أما الحرف التالية (النفاطين الوقادين...) فيحتاجون إلى التراب ومنها ما يحتاج إلى النار، أيضا هناك ما تحتاج إلى الهواء كصناعة الزمارين، البراقين، النفاخين، ومنها ما يحتاج إلى الماء والتراب كصناعة الفخارين والخضارين وضرابي اللبن المستخرج من الطين للبناء، ومنها ما يعتمد على

---

(1) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(2) عبد الستار حميدة قسطاس، المرجع السابق، ص320.

(3) غمر بلبشير، المرجع السابق، ص294.

(*) الأداة: هي تلك التّي يستعملها الحرفي أو الصانع أثناء أداء عمله (الفأس، المنشار، الإبرة).

(**) الآلة: يقصد بها العنصر البشري.

المعادن كصناعة الحدادين والصفارين والرصاصين والزجاجين، ويعتمد النجارون والخواصون[*] والبوارون على القضبان والأوراق، ومن الصناعات ما يعتمد على لحاء الأشجار كصناعة الكتانين والكاغد ومنها ثمر الأشجار وحب النبات كصناعة الدقاقين[**][1]

3- المواد النباتية والحيوانية:

عن ازدهار الزراعة وتنوع المحاصيل الزراعية في مجتمع المغرب الإسلامي أدى إلى نمو الصناعة والحرف من ناحتين:

1- أنّ المواد الخام للصناعات اعتمدت بالدرجة الأولى على الحاصلات الزراعية، فقد اعتمدت صناعة النسيج على القطن والحريري والكتان، وصناعة العطور اعتمدت على الزهور والرياحين، وصناعة السكر على قصب السكر، في حين اعتمدت صناعة الزيوت والشموع والصابون على حاصلات السمسم والزيتون، هذا دليل على الحاجة الهائلة للحرف والصنائع إلى المحاصيل الزراعية.

2- أنّها قدمت للمشاريع الصناعية رؤوس الأموال لأنّ ورادات الأرض تذهب إلى أصحاب الأملاك، وقد عاش هؤلاء عيشة الترف تطلت جمع المنتجات الصناعية وحاجات الترف.[2]

ومن الصناعات التّي ازدهرت في العصر المريني صناعة عصر الزيتون لاستخراج الزيت، واشتهرت فاس بهذه الصبناعة لقربها من غابات الزيتون في شمال المدينة إلى نهر "سبو" ثم إلى نهر "ورغة" وحتى فيما وراء ذلك إلى سفوح الجبال التّي تطل على البحر الأبيض المتوسط، فكثرت معاصره في مراكش وتينميل، مكناسة، كما تكثر النوازل المتعلقة بأرحية طحن الحبوب، مما يدل على وفرتها في حواضر المغرب وقراه، وقد سجلت المصادر الجغرافية كثرة أرحاء الحبوب المقامة على نهر الشلف، كما أنّ تلمسان

---

[*] هم الذين ينسجون الخوص وهو ورق النحل.

[**] باعة الدقيق.

[1] عبد السلام همال، المرجع السابق، ص ص79-84.

[2] صباح الشيخلي، المرجع السابق، ص21-22.

أقيمت حولها أرحاء كثيرة تعكس غنى المنطقة، ومن الصناعات التّي ازدهرت في الأندلس ثم عمت باقي أقطار المغرب الإسلامي عن طريق تربية "دودة القز" والتوسيع في غراسة أشجار التوت، الاشتغال بصناعة الحرير، فقد ذكر حسن الوزان عن مدينة شرشال أنّه "قصدها الغرناطيون واشتغلوا بصناعة الحريري، إذ وجدوا كمية لا تحصى من أشجار التوت الأبيض والأسود...وبلغ من شغفهم باستعمال الحرير أنّهم صنعوا منه الورق".[1]

لقد اهتم البربر كثيرا بزراعة أشجار الزيتون التّي لكانت المصدر الأساسي للكسب، حيث تذكر المصادر أنّ عبد الله بن سوح عند فتح غرناطة وجد أكثر أموالهم الذهب والفضة فتعجب من كثرتها فتساءل عن مصدرها، فجعل رجلا منهم يلتمس شيئا من الأرض، حتى جاء بنواة زيتون فقال: "من هذا أصبنا الأموال، لأنّ أهل البحر والجزر ليس لهم زيت فكانوا يشترونه من هنا"، نفهم من هذا الكلام أنّ سكان بلاد المغرب كانت لهم علاقات اقتصادية مع الدول المطلة على ساحل البحر، وازدهرت بعض المدن في بلاد المغرب اقتصاديا، فمدينة شروس مثلا كانت تمتاز بزراعة العنب، الين، والشعير، أما قسنطينة فكان لها نخيل وأكثر الفواكه بها، وتلمسان مشهورة بالزرع والضرع...ومياهها غزيرة، وبالمغرب الأقصى البقر، الغنم، بالزرع، وأكثر فاكهتهم العنب والزيتون والتين.[2]

منذ حصار مكناس من طرف الموحدين، انتقل اقتصادها من الارتكاز على الزراعة إلى الاعتماد على النشاط الصناعي، إلى جانب الطابع العسكري للمدينة كان وراء توجيه اهتمام الحرفيين نحو الصناعات الحربية إلى جانب الحدادة والسقالة وحركة البناء المرتبطة بالقلاع والحصون، إلا أنّ بقاء الزراعة كنمط غالب أدى إلى استمرار إنتاج الصناعات المرتبطة بالزراعة كالطحانة وعصر الزيتون، بالرغم من افتقارها إلى تقنية

---

[1] عمر بلبشير، المرجع السابق، ص295.

[2] إيمان عبان، بلاد المغرب ثقبل الفتح الإسلامي، مجلة العلوم الإنسانية، المركز الجامعي علي كافي، المجلد5، العدد1، تندوف، 2022، ص34.

متطورة، وعندما انتقلت الدعوة الموحدية من ثورة إلى دولة، عملت على تشجيع الصناع والتخفيف من الضرائب، وعرفت مكناس انتعاشا صناعيا في عهد المرينيين خاصة إبان عهد السلطان أبي الحسن.[1]

وعلى غرار الصناعات الأخرى السالفة الذكر، فقد اعتمدت الصناعة الزراعية على أهم حاصلات القيروان في الإنتاج الفلاحي كالقطن والكتان والصوف والجلود، وشجر التوت لصناعة الحرير، فكونت ثروة لإفريقية والقيروان فيما يخص صناعة النسيج والحياكة والخياطة والقصارة والصباغة والخرازة وغيرها من الحرف التّي لها علاقة بالألبسة والأفرشة، وتعد حرفة الغزل المهنة العامية الأكثر التصاقا بالطبقة الشعبية، ومن اختصاص النساء اللائي يعملن في بيوتهن كأخت أحد الفقهاء المصاحبين لأبي إسحاق الجبنياتي التّي كشفت بنفسها عن الصوف وعملت له دراعة، كما عاش أحد القيروانيين بكد بامرأته كانت تشتري الكتان فتغزله وتنسج منه أبدانا فيبيعها.[2]

وقد احتفظت لنا النوازل الفقهية باشتغال بعض الحاكة بغزل الصوف والكتان ونسجه، فلم تكن هذه المهنة حكرا على المرأة فقط، وكانت المواد الخام المستعملة في النسيج عدا الصوف هي الكتان والقطن الذّي يعمل منها القماش الإفريقي، وأهم المنسوجات الصوفية هو السجان العربي المزين بالزخرف الهندسي، وارتبطت الصباغة بمهنة الخياطة، وكان معظم الخياطين يأخذون الثياب البالية فيصبغونها فتظهر كأنها جديدة، وتركزت على ضفاف الأنهار لأنّها تحتاج إلى كميات كبيرة من الماء، ومثلها كانت القصارة التّي ارتبطت بدورها بالخياطة، وأكثر المناطق سوسة وصفاقس، أمّا الصناعات الخشبية فبدايتها مع حسان بن النعمان لمى بنى دار للصناعة في تونس، ثم انتشرت دور الصناعة في سوسة التّي يعمل فيها المراكب البحرية، ويشير البكري بأنّ أهل القيروان يحتطبون

---

[1] إبراهيم القادري بوتشيش، إسهامات في التاريخ الاقتصادي، الاجتماعي لمكناس خلال العصر الوسيط، تقديم: محمد المنوني، منشورات عمادة جامعة مولاي اسماعيل، 1997، ص ص144-145.

[2] دلال لواتي، المرجع السابق، ص ص283-285.

الدهر من زيتونها وهي دلالة على وفرة مادة الخشب، ومن الصناعات الخشبية ما هو متعلق بالأثاث، واشتهرت القيروان بالدباغة حيث يأتيها من قابس جلود تدبغ بالقرظ وتعم أرض المغرب لطيب رائحته ونعومة ملمسه، واختصت القيروان بصناعات جلدية كالجلود المطرزة بالفضة والخز....[1]

كما ارتبطت بالقطن والكتان صناعة الكاغد أو الورق، وإن كان أصله صينيا فقد دخل بغداد ثم القيروان، وعن طريق صقلية دخل أوروبا، كما انتشرت المطاحن والأرحاء لطحن الحبوب من شعير وقمح وحنطة التّي تديرها الحيوانات لعصر الزيتون واستخراج الزيت منه، وسميت بالمعصرة، ومنه انتشرت صناعة الصابون، اشتهرت أيضا صناعة الخمور والورود بوجود دكاكين العطارين لصناعة ماء الورد والعقاقير ومختلف العطور.

نستخلص مما سبق، أن معظم الصناعات ارتبطت بتكوين شريحة كبيرة من الصناع ظهرت بأسمائها في بعض المصادر مثل كتب الطبقات، فكان الخياط، القصار، الحاكي، الصباغ، الدباغ، الصواف، القطان، الخراز، الوراق، العطار، الزيات، الطحان، الطباخ، الوراق، الطلاء، العطار، الكتان، الخشاب...[2]

وأن صناعة البلاد، بل صناعة الغرب الإسلامي عامة كانت قائمة بشكل أساسي على الإنتاج الفلاحي والحيواني، فهو يشمل معالجة الحبوب بالطحن والعجن، وما ينبني عليها من الصناعات، وتشمل الصناعات النسيجية الصوفية في الأعم، والصناعات الجلدية إضافة إلى مشتقات الألبان، وهي أمور متوفرة بل تفيض عن الحاجة في كل شبر من البلاد.[3]

أما عن معادن الأندلس قال ابن سعيد: "أن الأرض الشمالية الغربية فيبها المعادن السبعة...وأعظم معدن الذهب بالأندلس في شنت ياقوت Sontigo De Campastela، وفي

---

[1] دلال لواتي، المرجع السابق، ص286.

[2] المرجع نفسه، ص286.

[3] جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص86.

جهة قرطبة الفضة والزئبق والنحاس والصغر (النحاس الجيد) الذّي يكاد يشبه الذهب بمدينة برجه، وهي من أعمال المرية، معدن الرصاص، وأمّا مدينة وادي آش (Guadix) فيها معدين الحديد والنحاس، أما مدينة المرية (Almeria) تعد مركز صناعي وتجاري هام وتصدر المصنوعات الحديدية والرصاص والقصدير وزيت الزيتون، وقد اشتهرت بمنتوجاتها الشهيرة من الفخار والخزف، أما كورة باجه (Beja)، وهي من أعمال مدينة إشبيلية فتشتهر في دباغة الأديم وصناعة الكتان، وفها معدن الفضة، أمّا في جبل قرطبة مقاطع الرخام الأبيض الناصع اللون.[1]

وفي صناعات الأندلس قال ابن سعيد: "... اختصت ألمرية ومالقة ومرسية بالموشي المذهب، وفي ستالة من أعمال مرسية نعمل البسيط... ويصنع في مرسية من الأسرة المرصعة والحصر الفتانة الصنعة...ويصنع بها وبألمرية ومالقة الزجاج الغريب العجيب وفخار مزيج... ويذكر أيضا بأنّ بإشبيلية معدن الفولاذ ويكثر فيها الصناعات الدقيقة"[2]، وأما بمنطقة المغرب الأدنى فقد توافرت جملة من المواد الأولية الخام التّي استعملت في الكثير من الصناعات منها ما هو نباتي كالزيتون، قصب السكر، الحبوب، ومنها حيواني كالأصواف، الوبر، الجلود...، ومنها المعدني وأهم مورد دون شك في المغرب الأدنى الملح، إضافة إلى الرصاص الذّي يتواجد بكثرة في أقاليم الدولة الحفصية، أما العاصمة تونس فاشتهرت برخامها الحجري "بأنّها في نهاية الإبداع وغاية الإتقان والرخام بها كثير وأكثر أبواب ديارها معمول منه".[3]

---

[1] أكرم علي محمد اوالسعيد، المهن والحرف والصناعات في الأندلس، مذكرة ماجستير، قسم التراث الفكري، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، بغداد، 2013، ص82.

[2] نفسه، ص83.

[3] إدريس بن مصطفى، العلاقات السياسية الاقتصادية لدول المغرب الإسلامي مع دول جون غرب أوروبا (7-10هـ-13-16م)، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2014، ص68.

4- معادن أخرى:

ومنها الرصاص الذّي كان يتواجد بكميات كبيرة، في كورة البيزة، وبدلاية وهي من أعمال أطربة، ومدينة برجة، وهي أيضا مكن أعمال ألمرية، أما الزئبق فكان يوجد إلى الشمال من قرطبة، وتحديدا جبل البرانس في فحص البلوط، واشتملت قرية بطونة بساحل إلبيرة على معدن التوتيا التّي فاقت جميع المعادن طيبا، ويستفاد من هذا المعدن في الصناعات النحاسية، كما وجد هذا المعدن في قرطبة بكمية ونوعية أقل من بطرنة.

ومن المعادن التّي ورد شكرها في المصادر ببلاد بالأندلس حجر المرقسيتا الذهبية من جبال أنطائدة، التّي لا نظير لها في الدنيا، وتوجد في جبال شلير في إلبيرة على اختلاف أنواعها، وبناحية تدمير يكون حجر الازورد الجيد، ويوجد أيضا في إلبيرة، كما يوجد حجر البجادي بناحية مدينة أشبونة، في جبل هناك يتلألأ فيه ليلا كالسرج، أما حجر المغنطيس الجاذب للحديد، فأنّه يوجد بموضع يعرف بالصنهاجيين من كورة تدمير، ويوجد الياقوت الأحمر في ناحية حصن حنت صور من عمالة مالقة وبيجانة.[1]

ومن المعادن الأخرى التّي تزخر بها الأندلس معدن القصدير لا نظير له يشبه الفضة، أيضا المغنسيا والكبريت بنوعه الأحمر والأصفر، وأرض الأندلس غنية بحجر الرخام، الذّي استفاد منه في تشييد منشآتهم العمرانية، ومن المناطق الغنية بهذا المعدن قسطيلة، قرطبة وفي رية، واستخرج كذلك من مقاطع ناشرة، وباغة وطركونة وبماردة، وكانت مدينة غريس تزخر بهذا المعدن، ومن خصائص رخامها بياضه وصلابته.[2]

---

[1] حاج عبد القادر يخلف، التوزيع الجغرافي للمعادن في المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران أحمد بن بلة، د س، ص2.

[2] نفسه، ص3.

الفصل الثاني

الحرف والصنائع ومكانتها لدى النخبة

المبحث الأول: نظرة الفقهاء إلى الحرف والصنائع في الغرب الإسلامي

المبحث الثاني: نظرة المتصوفة إلى الحرف والصنائع في الغرب الإسلامي

المبحث الثالث: الحرف والصنائع ومكانتها لدى الأدباء والمفكرين والمؤرخين

يبدو من خلال الكتابات الوسيطية أن استخدام مصطلح النخبة جاء مرادفا لكلمة الصفوة والخاصة، والحظوة والمكانة المرموقة والقدر العالي، والاختيار والانتقاء، والاصطفاء، فقد استخدم مصطلح النخبة للدلالة على قلة من الناس تتمتع بقدر عالي من الجاه ومن الفهم والعلم والصفاء، وللدلالة على تصدر التراتبية الاجتماعية اعتبارهم صفوة الناس وخيارهم، وهذا في أكثر من موضع.[1]

وبرز المفهوم المعرفي لمصطلح النخبة بشكل جلي في بعض بالتراجم التّي أوردها يحي بن خلدون لبعض علماء تلمسان، ومن ذلك ترجمته للعالم أبو عبد الله النجار (ت 749هـ/1348م) من خلال قوله: "الفقيه الثعالبي، نخبة وقته...ساد أهل زمانه في العلوم المعقولة"، كما وظف يحي بن خلدون عدة مصطلحات للدلالة على المفهوم المعرفي للنخبة من قبيل "علية" و"خيار"، ففي ترجمة أبو عبد الله بن محمد بن المشوش يقول: "من علية الفقهاء، اهل الدين والورع"، وهنا يتجاوز المفهوم المعرفي على المفهوم الديني للمصطلح، أمّا في ترجمة أبو موسى عمران المشدالي (ت 145هـ-1344م) فيقول: "من خيار العلماء"، كما استخدم عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ-1405م) المفهوم المعرفي لمصطلح النخبة ولكن في مواضع قليلة.[2]

تعد النخبة المثقفة من أهم المسائل والقضايا الجوهرية في المجتمعات على اختلافها، نظرا لما لهذه الفئة من مكانة وكفاءة ثقافية وسياسية واجتماعية، مرتبطة جدليا بالبناء الاجتماعي والفكري باعتبارها تمثل العنصر الفعال في مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية، ولطبيعة الأدوار التّي تمارسها هذه الفئة تجاه نفسها، وتجاه الواقع الاجتماعي من تأثير، وكذلك للدور التاريخي الذّي تؤديه هذه الفئات بحكم طبيعة تكوينها.[3]

---

[1] إلهام قاتل، المرجع السابق، ص20.

[2] نفسه، ص23.

[3] حدادي وليدة، النخبة المثقفة وإشكالية المفهوم، مجلة آفاق فكرية، المجلد5، العدد10، 2019، ص277.

تواجدت النخبة منذ القدم حيث تعود إلى أعمال الفلاسفة الإغريقيين، ومنهم الفيلسوف أفلاطون حينما تكلم عن ضرورة أن يحكم المجتمع فئة من الأفراد النابغين، كما ظهرت كذلك عند طائفة البراهمة وهي تتواجد بالهند منذ العصور المبكرة، فضلا عن ذلك وجدت مذاهب ومعتقدات دينية، عبرت بشكل أو بآخر عن فكرة النخبة، ويعود التصور السياسي والاجتماعي الحديث للنخبة إلى دفاع سات سيمون (Simon Sant) عن حكم العلماء ورجال الصناعة، إلا أنّ الصفوة اتخذت معاني ومضامين متنوعة.[1]

وقد جاء لفظ الاصطفاء في القرآن الكريم بمعنى الاختيار، وورد مصطلح الصفوة في آيات عدة مثل قوله تعالى: ﴿**أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ **قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**﴾[3]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**﴾.[4]

وجاء لفظ صفوة في الحديث الشريف في ثلاثين موضعا على لسان النبي (ﷺ) وأصحابه حين يخاطبونه، مثل قولهم: "أنت نبي الله وصفوته"، وقوله (ﷺ): "لكم صفوة أمركم وعليهم كدره"، وقول أحد الصحابة: "شربت صفوة الماء وتركت كدره"، والصفوة في هذه الأحاديث تعني أفضل الشيء وخلاصته المختارة، وهو المعنى الذّي يدور حوله مفهوم الصفوة والنخبة بشكل عام.[5]

وفي ذلك يتميز المنظور الإسلامي لمفهوم النخبة والذّي يحددها بأنّها: "جماعة منظمة وصالحة من العلماء والأمراء تعنى بالتظافر والتشاور فيما بينها بتعيين أمر الله فيما يواجه الأمة من مواقف وتقوم بتنفيذه بالتكافل العام مع الأمة".[6]

---

(1) حدادي وليدة، المرجع السابق، ص277.

(2) سورة فاطر، الآية 32.

(3) سورة آل عمران، الآية 42.

(4) سورة الإسراء، الآية 40.

(5) حدادي وليدة، المرجع السابق، ص278.

(6) نفسه، ص280.

إذا كان الانتساب إلى المهن أصبح من ملامح المدنية، فهذا يدل من جهة وعلى أنّ الاشتغال بالمهن لم يعد محتقرا وأن هؤلاء فرضوا أنفسهم بروح التكتل، وقد صدق الجاحظ لما قال أنّ "الصناعة نسب"، لا لشيء إلا لأنّ الواقع أثبت دور هذه الشريحة في تلبية الحاجيات الاقتصادية لجميع مستويات المجتمع، إلى جانب تخصيص أماكن لكل حرفة في الأسواق المختلفة في الغرب الاسلامي، فهذا يعني أنّ كل صناعة كانت منفردة في الأحياء والأسواق، فهذا يفسر عمق الروابط بين أهل الحرف، وهو تنظيم إسلامي في مجتمع العصر الوسيط يسهل مراقبتها من قبل الوالي أو المحتسب والإشراف عليها من جهة ثانية.[1]

ونظرا لقلة ثقافة الصناع والحرفيين وصفتهم طبقة خاصة بالسفلة والأنذال والوضعاء والأدنياء، كما وصفهم بعض العلماء بالجهلة والكذبة وسوء الأدب والتحرش، ووجدت حرفة الحجامة في حواضر الغرب الإسلامي خاصة القيروان، وقد وضحت إحدى الروايات الوضعية الاقتصادية لهؤلاء الحجامين ومدى إقبالهم في خدمة أولاد الخاصة والأغنياء ومدى تثاقلهم على الفقراء والعامة من الناس، ولقد لقبت أسماء قيروانية بهذه المهنة مثل عبد الله بن أبي القاسم بن مسرور التجيبي المعروف بابن الحجام، وأصحاب الصنائع والحرف يكون عادة أدنى طبقة بين الأحرار من خلال واردهم المالي الذّي كان لا يلبي إلا الضروري من المعاش، أما من حيث لباس الصناع وطعامه فالمادة التاريخية قليلة، إذ يمكن أن نستنتج أنّ اللباس يختلف باختلاف المهن والحرف.[2]

المبحث الأول: نظرة الفقهاء إلى الحرف والصنائع في الغرب الإسلامي

كان للفقهاء مكانة خاصة في المجتمع الأندلسي، فهم رجال الدين والدنيا، فمنهم الأئمة والخطباء والقضاة والمشاورون والمفتون...وغيرهم، واستمدوا مكانتهم من كونهم حفظة الدين وحملة الشريعة، ومن المجتمع من يجلهم والدولة تحترمهم، وتقف عند رأيهم

---

[1] دلال لواتي، المرجع السابق، ص298.

[2] نفسه، ص298-308.

وتعمل بإشارتهم، ولهذا كانت سوق الفقه نافقة والإقبال على دراسته كبيرا، وربما وحدة المذهب وطابع الفقه المالكي وأهله وتجاور الإسلام والمسيحية من أهم العوامل والأسباب في كسب هذه المكانة الخاصة للفقهاء في الأندلس وغيرها من حواضر الغرب الإسلامي.[1]

وكان لهؤلاء دور كبير في الاهتمام بالجانب الاقتصادي، حيث وجهوا جل عنايتهم بالصناع والحرفيين وتقديم لهم يد العون، وترتب على ذلك ازدهار الصناعة حيث وجد كثير من الناس فيها وسيلة للعيش لأنّهم كانوا محاطين بالدعم من كثير من المالكين وبينهم الحكام ومن يحيط بهم من الخاصة، ومن الموظفين والجنود ورجال العلم والأدب، وأطلق على هؤلاء التجار والحرفيين والصناع لقب الطبقة الوسطى، وذلك يعتمد على المستوى المعيشي الذّي يحيون فيه، وكذا أسلوب حياتهم، وقد انتشرت الكثير من المصانع في الأندلس مثل مصانع الخزف والنسيج والزجاج والورق والحديد ...والصباغة، لوفرة وسائل الإنتاج وأدواته.[2]

ولعلّ إخوان الصفا كانوا أوّل من قدر الصناع تقديرا عاليا، حيث اعتبروا الناس كلهم صناعا وتجارا"، سواء كانوا أغنياء أم فقراء، وقالوا بضرورة الصنائع للمجتمع، ودعوا إلى تعلمها وإتقانها، وقالوا بحاجة جميع الصنائع إلى العقل والتفكير، كما اهتموا بتقسيم الصنائع وتبيين أوجه التفاضل بينها، كذلك لم ينوى الكثير من المفكرين للدفاع عن الحرف والمهن، فقد جعل الغزالي "الأسواق موائد الله فمن أتاها أصاب منها".[3]

أما ابن الفقيه فيذكر أن "مجالسة التمارين تورث المخاثلة، ومجالسة البزازيق يورث البخل، ومجالسة العطارين تورث التجمس، ومجالسة الحناطين تورث النفاق، ومجالسة أصحاب السقط تورث الورع، ومجالسة النخاسين تورث الإفلاس"، ومن

---

[1] عصمت عبد الحميد دندش، المرجع السابق، ص272.

[2] نفسه، ص272.

[3] صباح الشيخلي، المرجع السابق، ص48.

الطريف أن نذكر أنّ هناك من الحرف والمهن -كما يبدو- كانت تؤثر في كلام أصحابها فتصبح الكلمات التّي يستخدمونها مأخوذة من الحرفة أو المهنة التّي يزاولونها، ويبدو أنّ لكل صناعة لغة خاصة.[1]

ومن بين الحرف التّي اهتم بها الفقهاء وكانت لهم نظرة باتجاهها الحياكة والحجامة، فلقد حاول بعض الفقهاء إثارة نقاط اتهام يمكن أن تواجه هاتين المهنتين، ومنها عدم إمكان تحديد السعر في السلع مسبقا، ويعتقد بعضهم أنّ من أسباب كره مهنة الحجامة هو ما كان يجري في الجاهلية من بيع الأصحاء دماءهم للآخرين، وهو ما حرم في الإسلام، ولكن يجب البحث عن هذا التوضيح المتأخر، فاذا كانت مهنة الحجامة قد مارسها العبيد، إلا أنّ وجود إشارات عن مكان مخصص كسوق للحجامين في المدينة المنورة في القرن الثاني وربما في القرن الأول يعني أنّ هذه المهنة لم تكن وقفا على العبيد، مما جعل من المقبول القول باحتمال انتقال مهنة الحجامة من العبيد إلى الأحرار من المشرق إلى الغرب الإسلامي.[2]

ومع أنّ الفقهاء اعتبروا الخياطة من أكد الصنائع لتعلقها بستر العورات إلا أنّهم نظروا إلى الحياكة نظرة ازدراء مما يحمل على الافتراض بأن ما جرى في مهنة الحجامة هو نفسه ما تم في الحياكة من انتقال المهنة من بعض الأحرار الذّين مارسوا هذه المهنة، ويبدو أنّ لضآلة الدخل الذّي تدره بعض المهن دورا في تقديرها، فكانت معظم الحرف توضع في منازل دنيئة "لأنّها حركة يتعاطاها الإنسان بلا حفز ولا استكراه، وأنّها أقرب إلى الذل والضعة".[3]

لقد اختلفت مواقف المذاهب بشأن الحرف والصناعات، فالمذهب الحنفي، واستنادا إلى أحد مصادره وهو "الاكتساب في الرزق المستحب" يبرز بكل جلاء أنّ مبدأ التفضيل

---

[1] صباح الشيخلي، المرجع السابق، ص49.

[2] فهمي سعد، العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجري، دراسة في التاريخ الاجتماعي، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1993، ص165.

[3] نفسه، ص166.

يقوم على "المنفعة العامة"، فهذه الحرفة أفضل لأنّها (أعم نفعا)، وينسب إلى الإمام الشافعي أنّه قال في الصنائع التّي يجب تحاشيها ما يلي:

تجنب عشرة الأنذال تنجو لتصحبك السعادة في أولئك

فست ليس يصحبهم لبيب فإن عددتهم فهم أولئـــــك

فجــزار وبــواب وعبد وحجام وإسكــاف وحــائك

وفي هذا السياق نبهت "ليلى الصباغ" إلى مدى تأثير نظرة الفقيه الشاجبة أو المحبذة لبعض الحرف دون الأخرى على ممارستها وازدهارها، وانعكس ذلك على الصياغة والجواهرية، وفسح المجال لغير المسلمين، ففي المغرب الأوسط كانت صناعة المصاغ حكرا على اليهود، وقديما قيل "لا تسلم ولدك في صنعتين": أن يكون جزارا فإنّ صنعته تقسي القلوب، وصواغا فإنه يزخرف الأسباب بالذهب والفضة، وكل هذا حرام، والمنع من فعل الحرام واجب".[1]

وكان موقف المذهب المالكي متشددا إزاء بعض الصنائع والحرف كالدباغة والحياكة والحجامة معتبا إياها رذيلة، غير أنّه مع مرور الزمن حدث تطور في الرؤى بحيث غدت عوامل أخرى تتحكم في تصنيف الحرف، إذ أضحى عامل الرفاهية والازدهار عاملا أساسيا، أي الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية هي التّي أضحت تحدد وضعية الحرف، وعلى الرغم من التطور الذّي نلمسه فأنّه ظل ينظر إلى بعض الحرف على أنّها حرف دنيئة إلى غاية أوائل القرن العشرين.[2]

تعكس نظرة الفقهاء إلى العمل المفهوم الإسلامي المستخرج من القرآن والسنة، فكانت نظرتهم أخلاقية اجتماعية، فقد دعا سعيد بن المسيب، وهو من الفقهاء الأوائل إلى عدم ترك العمل بحجة الانصراف إلى العبادة، وكذلك أحمد بن حنبل الذّي استشهد بقول الرسول(ﷺ): "جعل الله رزقي تحت رمحي"، وكان يأمر الناس بأن يلزموا السوق، أما أبو

---

[1] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص17.

[2] نفسه، ص170.

حامد الغزالي فقد جعل الكسب واجبا على كل شخص في الحياة الدنيا، لا يعفى منه إلا الزاهد، والمجاهدون في سبيل الله والعالم (كالمفسر والمحدث والمفتي)، والرجل الذّي يشتغل بمصالح المعلمين (كالسلطان والقاضي)، واعتمد كثيرا على أحاديث الرسول (ﷺ) في دعوته إلى العمل والكسب، ويعتمد ابن الجوزي هو الآخر في دعوته إلى العمل والكسب على أحاديث الرسول (ﷺ)، ويهاجم العاطلين عن العمل والمحتجين بحجج غير مقنعة.[1]

أما الفقيه أحمد بن تيمية فقد جعل العمل واجبا دينيا ودنيويا بالإضافة إلى كونه ضرورة اجتماعية، ولم يكتف الفقهاء بالدعوة إلى العمل والكسب، بل مارسوا الكثير من المهن والحرف، فأبو حنيفة صاحب الرأي كان حرازا، وكان من بين الفقهاء من يعمل بالحرض ليقتات منه هو وعياله، ومنهم من يشتغل بالنسيج، وكان لأحد الفقهاء أناتين يشوي فيهما الآجر وهو ما يدل على اشتغال الفقهاء والمحدثين في المهن والحرف المختلفة، أنّ عبد الله بن محمد بن إسحاق بن سعيد بن إسماعيل السعدي الهروي أفرد كتابا في هذا الباب سماه "كتاب الصناع من الفقهاء والمحدثين"، كما تسمى كثير من الفقهاء بأسماء أهل الحرف والمهن، فنجد القطان، البلاقلاني، الدقاق، السراج، والقبار، وغيرها م الأسماء الدالة على المهن والحرف.[2]

وأن معظم الصناع في المجتمع القيرواني من الفقهاء، وفي جانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية لم يتميز هؤلاء الفقهاء والزهاد والعلماء وغيرهم من الفئات الاجتماعية في حياتهم، لكن درجة العلم ودرجة الفضل والصلاح جعلتهم أرقى من العامة التّي تمتهن المهنة نفسها، فالرسول (ﷺ) كان راعيا ثم تاجرا، ونواح عليه السلام كان نجارا، وإبراهيم عليه السلام كان بناء، وموسى عليه السلام كان أجيرا، وداود عليه السلام كان حدادا،

---

[1] خديجة بورملة، المرجع السابق، ص45-46.

[2] نفسه، ص46.

وعيسى عليه السلام كان يخلق من الطين طيرا، وكان أبو بكر الصديق بزازا، والعوام ابن الزبير خياطا، وعمرو بن العاص جزارا.

كل هؤلاء هم صفوة الناس كانوا صناعا وأصحاب حرف وأجراء، والواقع الأخلاقي والديني والسياسي وحتى الاقتصادي، جعل من حياة العامة بما فيهم الصناع طبقة لها أبعادها الاقتصادية والعلمية والسياسية، ولها خصوصياتها الاجتماعية، فكانت العامة عامة.[1]

ولأن بعض الفقهاء التقاة آثروا الابتعاد عن السلطة والأكل من كد أيديهم وعملهم، وليس من الغريب في سياق هذا الاتجاه أيضا أن تشترط النساء في عقود نكاحها ألا يمنعهم أزواجهن من ممارسة صنائعهن لمغالبة الدهر وتحسبا الزمن بل إنّ الحرفة وصلت إلى مستوى "المقدس" في الخيال الاجتماعي لدرجة أنّ بعض الأولياء زهدهم وخشونة حياتهم لم يتخلوا عن ممارسة بعض الحرف واعتبار هذه الممارسة نوعا من طقوس العبادة والتقرب إلى الله ورمز للتواضع والزهد، وقد قامت الدولة المرابطية لتوفير مناخ ملائم للصناع والحرفيين لإقرار الأمن وذلك بتشجيع سجال البناء والهندسة والتعمير، ويعزى ذلك إلى حاجتها إلى الصناعات المعمارية والحربية، وكل ذلك زاد من تلميع صورة الحرف والحرفيين في مخيال المجتمع المغربي إلى جانب تألق مجال الحرف اليدوية بالمغرب والأندلس خلال العصر المرابطي بفضل المكانة والقدرة الإبداعية التّي اشتهر بها صناع العدوتين، فأهل الأندلس كما وصفهم الجغرافي ابن غالب مهنيون في إتقان العملية وإحكام الهدف كما أن لأهل الأندلس بحسب ما يذكر العمري اليد الطولى في صناعة المخروطات من الخشب والنحاس، ونستخلص أنّ "الصنعة" احتلت مكانة محترمة في عقلية المجتمع المغربي، وأن الدولة نفسها اعتبرت الصانع جزء امن مشاريعها الخاصة "بالسوق الأعظم" حسب التعبير الخلدوني.[2]

---

[1] دلال لواتي، المرجع السابق، ص314.

[2] بوتشيش إبراهيم القادري، المجال الحرفي بالمغرب خلال العصر المرابطي دراسات تاريخية، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات، العدد03، جامعة مولاي اسماعيل، مكناس، المغرب، 2014، ص12.

ومن خلال اطلاعنا على النصوص على نصوص النوازل في كتاب المعيار للونشريشي، نستشف أن للفقيه دور كبير في تنظيم المجال الإنتاجي خاصة الحرفي والصناعي، ذلك أنّه على الرغم من وجود أمناء للحرف ومحسب لمراقبة الأسواق، فإنّنا نلاحظ وإلى وقت متأخر من العصر الوسيط مباشرة الفقهاء المفتين لأمور هي من صميم اختصاصات المحتسب، ولو أننا ندرك أنّه حتى في نصوص النوازل أو آداب الحسبة، لا نجد الاستقلال واضاحا، فالحسبة شكلت إحدى أبواب الفقه المعروفة في مجاميع النوازل خاصة في نوازل المعيار.[1]

وهناك العديد من الأمثلة تدخل الفقهاء في قضايا الحرف والإنتاج تبعا لقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الملازم لكل مسلم، وذلك بإبعاد بعض الأنشطة الحرفية إلى الأماكن البعيدة عن المدارات الحضرية، خاصة تلك التّي كانت تسبب إزعاجا وتصدر روائح كريهة للسكان، والفقهاء هم الذين وفروا الأرضية الفكرية والعملية لهذا التحول، فأسسوا بعدا فكريا ليبين الحلال وأوجه الحرام في الحرف ومنتوجاتها، كما عملوا بالملموس على تنظيم الحرف وتوزيعها وفق خطة ونظام يراعى فيه المصالح الاقتصادية والاجتماعية والأمنية للسكان.[2]

ولا نستغرب أن يتفادى المسلم بعض الصناعات ويعتبرها غير لائقة لاستعمالها المواد غير النظيفة كالدباغة مثلا، كما اعتبروا الصباغة مخالفة لقواعد الدين، ولهذا كان الصيارفة والصياغون من اليهود في معظم حواضر الدولة الإسلامية.[3]

وأفتى الفقهاء بأنّ من قال: "لمولى يا خياط أو ابن الخياط فلا حد عليه، لأنّ الموالي هم أهل الصناعات".[4]

---

[1] عمر بلبشير، المرجع السابق، ص289.

[2] نفسه، ص289.

[3] بتقة مرزوق، الحرف والصناعات التقليدية بمنطقة الحضنة، دراسة أثرية فنية، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2014، ص41.

[4] خالد حسن محمود، الرقيق والنشاط الحرفي، ص65.

المبحث الثاني: نظرة المتصوفة إلى الحرف والصنائع في الغرب الإسلامي

ظهرت بذور التصوف الأولى في نزعات الزهد القوية التّي سادت العالم العربي الإسلامي في القرن الأول الهجري، وقد أصبح التصوف تدريجيا حركة منظمة ومدرسة يتخرج منها الأولياء، لها قواعدها ورسومها، ومما يلفت النظر هو وجود تقارب بين التنظيمات الصوفية، وبين التنظيمات الحرفية كوجود رتب الشيخ أو الأستاذ والتلميذ، والاحتفال الذّي يقام عند انتماء الأشخاص إلى الطائفة عند المتصوفة، كما نجده في الأصناف العربيّة الإسلامية، هذا التشابه دليل على وجود تأثير متبادل بينهما وخصوصا إذا علمنا أن حركة التصوف قد تغلغلت إلى نفوس العامة، وانضم إليها الكثير من ذوي الحرف والمهن، كما تسربت الأفكار الصوفية إلى كثير من منظمات وهيئات الحرف، بل نجد كثيرا من أولياء أهل الحرف والمهن كانوا من المتصوفة.[1]

ولقد مارس الكثير من المتصوفة الحرف بأنفسهم، بشكل يثبت أنّ ذوي الحرف والمهن كانوا إحدى فئات هذه الطبقة، فاحمد بن رشيد (ت 183ه-899م) الزاهد المتعبد كان يأكل من عمل يده في الطين، وكان لهؤلاء ارتباط وثيق بالتنظيم الحرفي في الإسلام، والصوفية لام تحرم الكسب الحلال، فقد كان الصوفية من أهل الكسب، فتجد أسماءهم وألقابهم الخراز، الدّقاق، الوّقاد، الصبّاغ، الحدّاد، السّباك...، مما يدل على أنّهم كانوا من أرباب المهن والحرف.[2]

إنّ الطرق الصوفية تحث أتباعها على إمتهان الحرف وإتقان الصنائع وتجعل من العمل قيمة أساسية من قيمها، وتضفي عليه عمقا روحيا خاصا، ونجد الأصناف تتجه لأن تكون طرقا بذاتها مستعيرة من الطرق الصوفية أغلب شعائرها وتقاليدها المميزة لها مثل المواكب الخاصة بأتباعها ومواسمها في قبور مؤسسيها، ويعود هذا التداخل والتشابه بين النظامين الاجتماعيين إلى تأثر كليهما بنظام الفتوى، ومن الدلالات البسيطة عن تأثير

---

[1] صباح الشيخلي، المرجع السابق، ص62.

[2] نفسه، ص64.

التنظيمات الحرفية بحركة الفتوة انتساب كل صنف إلى ولي باعتباره حامي الحرفة وشيخها الأول، وكانت كل الطوائف ترجع في بأصولها إلى شخصية دينية بارزة.[1]

ومن بين الشعائر التّي كانت تمارسها الجماعات الحرفية، ما كانت تقوم به جماعة الدلالين، فلا يباشر الدلالون نشاطهم إلا بعد التوجه إلى الجامع الذّي عرف بنشاطهم، أي جامع الدلالة حيث يقوم أفراد الجماعة بتلاوة الفاتحة ويرددون بعض الأدعية، وما عرفه المغرب الأوسط كان شبيها بما كان سائدا في المغرب الأقصى ولاسيما في النمط الفاسي حيث كانت كل حرفة أو صنعة تحتمي بولي، فلجماعة الدباغين بسيدي يعقوب حاميها، وبمدينة مراكش احتمت جماعات عديدة بسيدي بلعباس السبتي صاحب المدينة.[2]

وكانت التأثيرات متبادلة بحيث اشتقت بعض الزوايا تسميتها من نشاطات حرفية كزاوية الشمارلية بالمغرب الأوسط، كما نجد أيضا زاوية الخرازين والنجارين والرقاقين...، لكن الجماعات الحرفية بوجه عام لم يصطبغ بالصبغة الدينية، فهي مثلما وصفها "Lecuyer" عند تناوله للتنظيمات الحرفية بمدينة قسنطينة: [3]

“La corporation ne semble pas avoir pésenté de caractére religieux c’est une communauté d’origine coutumière hierachisée fortement commandée”.

وكان كثير من المتصوفة يعملون بأيديهم، ولا يمنعهم توكلهم عن الكسب لألا يسقط المتوكل عن درجة سنته، حين سقط عن درجة حالته، ولأن التوكل فعل القلب فلا ينافي حركة الجوارح، ولو كان كل كاسب ليس بمتوكل لكان الأنبياء غير متوكلين، لذا نرى أنّ الكثير من المتصوفة مارسوا مهنا يدوية ونسب أكثرهم إلى المهن التّي يمارسونها، وكان السرقسطي يبيع السقط، وعمل أيضا في بيع اللوز، كما عمل في النسيج.[4]

---

[1] عائشة غطاس، الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص172.

[2] نفسه، ص173.

[3] نفسه، ص ص175-178-179.

[4] فهمي سعد، المرجع السابق، ص167.

إلى جانب ما عكسه التشريع الإسلامي من عناية الصانع بالحرف، نوهت المصنفات الفقهية وكتب التصوف ببعض منها، غير أنّها ميزت هي الأخرى بين المهن الوضيعة وبين الشريفة، واعتبرت هذه الأخيرة فرض كفاية كالفلاحة والنساجة والخياطة أو النبيلة وأفضلية بعضها عن بعض حسب قيمتها أو مكانتها في المجتمع، يقول ابن الحاج: "اعلم وفقك الله تعالى وإياك أنّ جميع الصنائع فرض كفاية في الغالب لكنها بعضها أكد من بعض فوقعت البذاءة بها الغالب عليه التعبد وهو غسل الميت الحفر له ودفنه، والنفساء وما تحتاج إليه من مباشرة وذلك كله على سبيل التنبيه"، كما اعتبر الخياطة صناعة من "أكد الصنائع وهي من فروض الكفاية، وهي متعلقة بستر العورة وذلك فرض سيما في حق المرأة لأنّها كلها عورة".[1]

ومن خلال كتب التراجم والمناقب يتضح لنا أنّ طائفة كبيرة من المتصوفة بمدينة تلمسان امتهنوا حرفا متعددة، كان بعضها بسيطا جدا في بعض الأحيان حتى عائداتها كانت زهيدة في معظمها على منحى تحقيق ما يكفي العيش ويغني عن الترف والتلذذ، وهو ما لا يتنافى مع حياة الزهد والتقشف التّي اختار المتصوفة أن يعيشوها، فأحمد بن الحسن الغماري التلمساني (ت874هـ-1469م)، احترف الحطابة، فكان يخرج للجبال والأراضي القريبة من تلمسان، ويجعل حزمة من الحطب على ظهره ويأتي بها إلى السوق الحطب ويبيعها هناك، كما كان يشتغل بنسج الدوم ويجعل منه حزما يسارع الناس لشرائه، كما كان أبو محمد عبد السلام التونسي يتعيش من حرث يديه، وهو ما يتبين لنا أنّ المتصوفة كانوا يولون اهتماما واحتراما بالغين للحرف والصنائع كونها رمز التواضع والتذلل، وفي ذلك إظهار لقيمة اجتماعية هامة فضلا عن مساهمتهم في تقديم خدمات مختلفة لأبناء مجتمعهم.[2]

---

[1] مولاي الحسن مغار، المرجع السابق، ص20.

[2] لخصر بلعربي، المرجع السابق، ص313.

كما أكد الصوفية ضرورة العمل، وحيطت عندهم بالتكريم، فمثلا ذا النون المصري يورد: "إذا أراد الله بعبد خيرا، فتح عليه باب العمل، وأغلق عليه باب الفترة والكسل"، واعتبر الصوفية التقوى معيارا في شرعية المهنة وشرفها، فرفعوا الخطر عن مهن عديدة، واعتبروا التقوى لا تتعارض مع الحياكة والحجامة، وكان أجل ما لديهم كسب الصانع من يده، لأنّ الله تعالى يحب المؤمن المحترف، إلا أنّ بعض الصوفية كان يقول بتفضيل مهنة على أخرى، ويتضح بأن يتخير الناس لأولاد هم خير الصنائع، واقترح احد المتصوفة عشر صنائع اعتبرها من أعمال الأخيار والأبرار وهي: الخرز والتجارة، والحمل، والخياطة، والحذو والقصارة، وعمل الخفاف، وعمل الحديد، وعمل المغازل وصيد البر والبحر والوراقة.[1]

المبحث الثالث: الحرف والصنائع ومكانتها لدى الأدباء والمفكرين والمؤرخين

1- الأدباء والمفكرين:

إذا كانت نظرة الدين وممثليه من الفقهاء والعلماء إلى العمل نظرة احترام، فقد قابلتها نظرة ازدراء من جانب لفيف من الأدباء، فقد رفض هؤلاء تخصيص مكان شريف في السلم الاجتماعي لأرباب الحرف، فقدامة بن جعفر يضع مهرة الصناع في طبقة السوقة أسوة باللصوص، وأدخلهم آخرون في ما دون طبقات الناس، وجاء في العقد الفريد "الناس ثلاث طبقات: طبقة علماء وطبقة خطباء وطبقة أدباء، ورجرجة بين ذلك يغلون الأسعار ويضيقون الأسواق ويكدرون المياه"، ويورد البيهقي هذه المقولة: "السوق سفل، والصناع أنذال والتجار بخلاء والكتاب ملوك على الناس"[2]، ويكونون عادة أدنى طبقة بين الأحرار من خلال واردهم المالي الذّي لا يلبي إلا الضروري من المعاش، ولهذا نعود لمقولة الدمشقي الذّي أكد "أنّ الصانع بيده يكاد كسبه يقصر عن إقامة ما لابد منه، ولا

---

[1] فهمي سعد، المرجع السابق، ص167.

[2] صباح الشيخلي، الأصناف والمهن في العصر العباسي، المرجع السابق، ص46.

يكاد كسبه يتسع لاقتناء طبيعة أو عقد نعمة، وأيضا فإنّه مع ذلك إذا ميز الناس دخل في أدون طبقاتهم".[1]

أما نظرة هؤلاء الأدباء إلى الحرف والصنائع، فكانت هي الأخرى لا تنطوي على الاحترام، فأبو حيان التوحيدي يصف المهنة "حركة يتعاطاها الإنسان بلا حفز ولا استكراء"، وجعل الصناعة أقرب إلى الذل والضعة، ويرد جرو نيباوم[*] سبب نظرة الازدراء هذه إلى الحرف والمهن حيث كان الغني والشريف هما اللذان يحددان المركز الاجتماعي عندهم، فتبنى رجال الأدب هذه النظرة.[2]

وأرخت نظرة العلماء بظلالها على أهل العلم من المسلمين، فاعتبروا الحرف تابعة وممتهنة، منتنة، رزيلة، دنية، خادمة، لا يمارسها إلا الأراذل البالغين غاية الرذالة، من الفعلة المنحطين في دركات الخسة، والأشبه في احترافها بالبهائم التّي ظهرت منها الصنائع داعين أهل المروءة والشرف إلى الأنفة من مشاكل البهائم، ومن ثم بات بديهيا أن تترك مثل هذه الأعمال اليدوية للعبيد في إطار النظرة الدونية للحرف والحرفيين، وهو ما دفع ببعض الباحثين للقول بأنّه لم يكن من نصيب الرقيق في العالم الإسلامي خلال العصر الوسيط إلا حرف وضيعة أعرض عنها السادة، وسمحوا لعبيدهم بالقيام بها.

هناك من المصنفات بخصوص مسألة نشاط الرقيق الحرفي وقدرات ومهارات فذة من المنظور الصناعي، استحقت مثل هذه الكتابات في حق الرقيق وهو ما تؤكده نصيحة أحد كتاب العصر من مؤلفي الأدبيات السياسية للحكام بقوله: "لا تجالس الخدام والعبيد فانهم يرتفعون بك عن مهنتهم فيخل ذلك بخدمتهم".[3]

---

[1] دلال لواتي، عامة القيروان في عصر الأغالبة، المرجع السابق، ص312.

[*] جرو نيباوم (1327-1392هـ/1909-1972م)، مستشرق أمريكي نمساوي الأصل، صاحب كتاب (حضارة الإسلام) فقد ذكر فيه أنّ الإسلام كان منذ مستهل نشأته في وسط حضري يستحب عمران المدن وتقدمها.

[2] صباح الشيخلي، المرجع السابق، ص46.

[3] خالد حسين محمود، الرقيق والنشاط الحرفي، المرجع السابق، ص66.

ولم يفت أحد شعراء الحقبة المرابطية التنويه بأهمية الصناع والحرف،واعتبارها مصدرا دائما للكسب والرزق، بذلك لا غرابة أن يحث أهل السوس "نساءهم وصبيانهم على التحرف والتكسب".[1]

لقد تطرق الأدب إلى موضع العمل، ووقف بعض الكتاب موقفا مساندا للمفاهيم السلطوية، فرفضوا تخصيص مكان تشريف في السلم الاجتماعي لأرباب الحرف مستندين إلى تقاليد عصر ما قبل الاسلام، وربما وضعوا أقوالا وجعلها تجري مجرى الأمثال السائرة، ولعلّ الحجامة والحياكة التّي اعتبرها بعضهم من المهن الدنيا لانعدام التصدق فيها، وأيضا التعليم من أكثر المهن تعرضا للوضع منها، وقال بعضهم: "الحمق في الحياكة والمعلمين والغزالين، والحاكة أقل وأسقط من أن يقال لهم حمقى، وكذلك الغزالون والحائك ليس عنده جيد في فعال ولا مقال، إلا أن يجعل جودة الحياكة من هذا الباب، وليس هو من هذا في شيء".[2]

ووردت أقوال في الحط من مهنة الصراف، ومن باعة الحبوب والطحين لأنّ خطر كنز المال وراد في الأول، فيما تساعد تجارة الحبوب والطحين على الاحتكار ورفع الأسعار، ولم يحظ باعة الاكفان بالاحترام لأنّهم يتمنون موت الناس، كما كان الجزارون موقع اتهام بقساوة قلوبهم، والجوهريون الذين يضعون أشياء تزين الدنيا بالفضة والذهب كان عملهم مذموما، ورغم فوائد مهنتي الحياكة والحجامة، إلا أنّها أكثر المهن ازدراء، لكن أصحاب الموقف المضاد لها تبين المهنتين لم يظهروا أي حجة افي دعم موقفهم من أنّهما كمهنتين ليس فيهما ما يتعارض وشرائع الإسلام، عكس تلك المهن المذمومة بنتائجه ولا يجوز تعلمها لأنّ الضرر في استعمالها أعم من النفع، نحو السحر والعزائم والكيمياء، في حين أنّ المهن الشريفة كالطب والطبخ والأصباغ فإنّ فوائدها عامة.[3]

---

[1] إبراهيم القادري بوتشيش، الجمال الحرفي بالمغرب خلال العصر المرابطي، دراسات تاريخية، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب، العدد 3، 2014، ص12.

[2] فهمي سعد، المرجع السابق، ص164.

[3] نفسه، ص164.

كان الحرفي عند اليونان في عهد هوميروس محترما يتقاضى أجره لقاء عمله الذي يقوم به على أكمل وجه وفي الاتجاه نفسه يصب قول الشاعر الإغريقي هزيود (Hisiode 846-777 ق م) الذّي أوصى في ملحمته الأعمال والأيام كل الناس على العمل الذّي لا يعتبره مخجلا، وإنما هو مخجل في نظره هو الكسل والخمول.

ثم إنّ الفلسفة اليونانية تعتبر العمل من اختصاص العبيد والخارجين عن القانون، أمثال أفلاطون الذّي يرى في العمل إشباع للرغبات الدنيئة.

أما أرسطو تلميذ أفلاطون فلم يخرج عن تصور أستاذه الذّي يعتقد أنّ بالحياة عمل وليست إنتاج، وأن العبيد هم أداة لخدمة الأسياد، فقال هو الآخر "أن الحرفيين هم أقرب إلى العبيد"، فالفلسفة اليونانية مجدت العمل الفكري واحتقرت العمل اليدوي.

أما الإسلام فقد رفع من شأن العمل واحترم الحرف اليدوية وكان من نتائج الحركة الفكرية فيما بعد أثر في تغيير النظرة للعمل والصنائع بالدعوة إلى ممارسة الحرف والمهن المختلفة، ومن ثم نجد الأصناف العربيّة الإسلامية ترتبط ارتباطا عضويا ومباشرا بالحركات الاجتماعية.

وتواصلت نظرة الاحتقار الإغريقية عند الرومان لدى النخبة المثقفة والطبقة الحاكمة التّي اعتبرت الحرفي شر لابد منه.[1]

ولكنه بمجيء الإسلام تغيرت النظرة، لأنّ الإسلام حث على العمل وأكد على حرمته، وجعل الإنتاج تقربا إلى الله وهذا مصداقا لقوله تعالى: ﴿**وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ** ﴾[2]، وقول رسول الله (ﷺ): "إنّ الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه".

---

[1] روبي مصدق، الحرف والصنائع في المغرب الأوسط على عهد المماليك الوطنية، مخبر البحوث الاجتماعية التاريخية، العدد4، 2013، ص ص138-139.

[2] سورة التوبة، الآية 105.

2- المؤرخون:

كان العمال والحرفيون يقومون بالأعمال الشاقة في المعامل والورشات مقابل أجور زهيدة، وكان بعض المؤرخين يقللون من شأنهم ويحتقرونهم فينعتونهم بـ"السوقة" و"الدهماء" و"العامة الرثة"، وإذا كان ابن غالب أشاد بصناع الأندلس وحرفييها، وكذلك خصهم إخوان الصفا بالتبجيل والتعظيم، فإنّ السقطى كان لهم الشتائم بدون حساب، فقد كانت نظرة المؤرخين المسلمين في العصر الوسيط للحرفيين والمهنيين تختلف بين التقدير والتبجيل والتنويه بالدور الاقتصادي الهام الذّي يلعبه هؤلاء الحرفيون، وبين الاحتقار والتصغير لمهنهم وصناعتهم، والتقليل من شانها وشأن محترفيها، ولم يتورع الغساني في اعتبار الصناعات مهنا يتداولها السقطة والرعاع وأراذل القوم، ويفصح الحريري عند ذلك بقوله: "وأمّا حرف أولى الصناعات، فغير فاضل عن الأقوال والانا فقه في كل الأوقات".[1]

أما في تلمسان، فقد أشادت بعض نصوص القرن الحادي عشر الهجري/ السادس عشر ميلادي بالصناع والحرفيين والتجار التلمسانيين، ونوهت بهم ووصفت حالتهم بالسعة واليسر والرفاهية، ونعتت أخلاقهم بالصفاء والوفاء والصدق والنزاهة، ويشكل هؤلاء الصناع فئة كبيرة في المجتمع التلمساني، ومثيله في تونس إذ كان أغلب سكانها من الصناع، وخاصة النسيج.

واتصف صناع الغرب الإسلامي بالدقة والجد والصبر في أداء أعمالهم، فجاء وصف ابن غالب مصداقا لهذا القول عند حديثه عن صناع الأندلس بقوله: "صينيون في إتقان الصنائع العملية وأحكام المهن التصويرية، فهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الأعمال ومقاساة النصب في تحسين الصنائع".[2]

---

[1] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص223.

[2] نفسه، ج1، ص223.

ذكر المقري "أنّ الجاهل الذّي لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة"، لكن يجب أن يفهم من كلام هذا المؤرخ أنّ المجتمع نظر إلى الحرف الصناعية نظرة احتقار وازدراء وكأنها "حل" لمستقبل عيش الفئات غير المثقفة، بل على العكس حثت أمثال العامة على السعي والكدح كمنهج حياتي يكسب الإنسان به كرامته، بينما ذمت الكسل والبطالة، وبلغ من تبجيل المجتمع والمؤرخين للحرف ما جعل النخبة المثقفة نفسها تعتبر "الصنعة" أوّل ما ينبغي للإنسان أن يتعلمها بعد معرفته بدينه.[1]

وأكد ابن خلدون أن الأساس الذّي يقيم بموجبه الشخص في المجتمع هو قدرته على الكسب، وعلى الرغم من أنّ النظرة إلى المهن تحسنت بمرور الزمن، فقد ظلت بعض المهن تحظى بعدم الاحترام، وتؤدي إلى مطعن اجتماعي كالحاكة والحجامة، والعمل في الحمام، وتعليم الصبيان، كما اعتبرت مهن القصابين والسماكين والزبالين من الصنائع الرذيلة.[2]

ولقد اكتفى ابن خلدون بالإشارة إلى الصنائع الضرورية، والصنائع الشريفة، كالفلاحة والبناء والخياطة والنجارة والحياكة ضرورية، أما الصناعات الشريفة كالتوليد، والكتابة والوراقة والغناء والطب.[3]

---

[1] إبراهيم القادري بوتشيش، المجال الحرفي بالمغرب، المرجع السابق، ص12.

[2] صباح الشيخلي، المرجع السابق، ص49.

[3] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص170.

الخاتمة

وبعد هذه الدراسة الّتي ارتأينا من خلالها الكشف عن الحرف والصنعات في الغرب الإسلامي من خلال منظور النخبة، فموضوع الحرف والصنائع يعد بمثابة الانطلاقة الضارية لمنطقة الغرب الإسلامي، وذلك نتيجة للتطور الحاصل في شتى مجالات الحياة واتساع العمروان لترسيخ حضارة حديثة متكاملة الجوانب، والتّي أدت بطبيعة الحال إلى تنوع الحرف والصنائع في هذه المنطقة، وتكونت معها طوائف حرفية عرفت بالأصناف أو أرباب المهن، وتعد حرفة النسيج من أكثر الصنائع التّي اعتمد عليها الإنسان آنذاك، إذ اتخذ الإنسان المنسوجات والملابس في المراحل الأولى من حياته وقاية تدفع عنه الحر والبرد، ومرحلة التزين كانت مرحلة حالية اعتبرت من أسباب التحضر.

ويمكن اعتبار الحرف والصناعات من القوى الهامة المكونة لمجتمع الغرب الإسلامي وتكمن في معرفة التنظيمات الحرفية وإبراز شكل أصنافها ونظرة النخبة والعامة للحرف في الغرب الإسلامي خاصة والمجتمع بصفة عامة، بالإضافة إلى تحديد الدور الذّي لعبته الأصناف الحرفية في تكوين الحرفيين، وأهميتها في المجتمع في عديد المجالات، إذ كان للحرفيين والصناع دور بارز ومهم في النشاط الاقتصادي، وبرز أيضا تأثيرهم على الحياة الاجتماعية إذ كانت فئة كبيرة من المجتمع تشتغل أو تمتهن الحرف والصنائع.

ولقد ساهمت وفرة المواد الخام في ازدهار الحرف وتنوع الإنتاج ووفرته أيضا، إلا أن معظم المصادر المعتمد عليها لا تقدم معلومات ذات أهمية في هذا المجال.

وعموما عرف النشاط الحرفي والصناعي في الغرب الإسلامي بازدهار كان له تأثير بالغ على معظم حواضر الغرب الإسلامي مع استبحار العمران وتطوره، وكانت الحرف النبيلة كالصياغة والخياطة والنسيج توجد داخل المدينة، في حين الوضيعة والتّي تسبب أذى للناس من خلال الروائح الكريهة والأصوات المزعجة كالدباغة، الحدادة، فإنّها كانت تمارس خارج المدينة، أما المحاجر فكانت موجودة على ضفاف المجاري المائية.

إنّ مقياس نمو المدينة في الغرب الإسلامي مرتبط بالحياة الحديثة وبتوسع العمران وازدياد أهمية الصنائع، وقد شكل الصناع وأهل الحرف الفئة الكبيرة من بن مجموع

العامة، فظروف العمل متشابهة وتطور الحياة الاقتصادية والعمرانية أدى إلى بث الشعور بروح الجماعة، مما يشعر الحرفي بوجود صلة بغيره ولو ليس من نفس المنطقة.

أما بالنسبة لنظرة النخبة للحرف والصنائع، فقد أعلى الإسلام من شأن الحرف والصناعات والقائمين عليها بشكل عام، بعد أن كانت تلاقي نوعا من الاحتقار والازدراء والمهانة، في ثقافات العالم القديم، وكذلك العرب قبل مجيء الإسلام، فإن أراد أحد أن يسب أشخاصا يقول له: "يا ابن الصانع"، غير أنّ تلك المفاهيم الخاطئة عن الصناعة، قد تأرجحت بين التحقير تارة، والتقدير تارة أخرى، خلال فترات طويلة من تاريخ الغرب الإسلامي.

نستخلص من ما سبق أنّ الحرف والصنائع هي التّي تعبر على أصالة المجتمع وحضارته في ظل العولمة، وباستمراريتها اكتسبت مكانة مرموقة في شتى جوانب المجتمع من خاصة الاجتماعية، الاقتصادية، والسياحية، والمحافظة عليها يستوجب وضع خطط مناسبة بإشراك الهيئات السياسية والمجتمع المدني.

كما يعتبر صناع من بين أهم فئات الطبقة العامة التّي لا يمكن الاستغناء عنها لدورها الكبير ومساهمتها الفعالة في حياة المجتمع، وأن نشاط هؤلاء يزدهر ويتطور مع اتساع العمران وتطور المدن وكثرة سكانها، وهذا ما يتفق مع ما ذهب إليه ابن خلدون في حديثه عن العلاقة بين تطور العمران والصنائع بقوله: "أنّ الصنائع دائما تكتمل بكمال العمران الحضاري وكثرته.

قائمة

المصادروالمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

- المصادر:

1. إبراهيم مصطفى- أحمد حسن الزيات، المعجم الوسيط، اسطنبول، 1989.

2. ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج2، 2006.

3. ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: سهيل زكار، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2001.

4. ابن زكريا يحي ابن أبي بكر كمحمد بن محمد بن محمد بن الحسن ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد، مج1، مطبعة بيير لونطانا الشرقية، الجزائر، 1903.

5. ابن منظور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، ج1، تح: عبد اللام سرحان، مر: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د س.

6. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ابن منظور (ت711ه/1311م)، لسان العرب، ج1، دار صادر، بيروت، 1883.

7. أبو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، ط1، ج2، 2003.

8. أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس العسيني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، ط1، بيروت، 2007.

9. أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

10. أبي الفضل جعفر بن علي الدمشقي، الإشارة إلى محاسن الحجارة ومعرفة صيد الأعراض ورديئها وغشوش المدلسين فيها، مطبعة مؤيد، 1883، د ب.

11. أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

12. أبي محمد عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه: صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية للنشر، صيدا، بيروت، 2006.

13. الزبيدي: محي الدين ابي الفيض السيد مرتضى الحسيني الواسطي، تاج العروس من جواهر القاموس، طبعة القاهرة، 1306ه، مج6.

14. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د س.

15. محمد بن مكرم ابن علي أبو الفضل جلال الدين (بن منظور)، لسان العرب، ج8، ط1، بيروت، 1882.

16. محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، مجلد السين، القاموس المحيط، ج41، دار الحديث للنشر، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 2013.

- المراجع:

17. إبراهيم القادري بوتشيش، إسهامات في التاريخ الاقتصادي، الاجتماعي لمكناس خلال العصر الوسيط، تقديم: محمد المنوني، منشورات عمادة جامعة مولاي إسماعيل، 1997.

18. إبراهيم القادري بوتشيش، الجمال الحرفي بالمغرب خلال العصر المرابطي، دراسات تاريخية، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات، جامعة مولاي اسماعيل، مكناس، المغرب، العدد 3، 2014.

19. أبي محمد عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في أخبار المغرب وشرحه، صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية للنشر، سيدا، بيروت، 2006.

20. أحمد القرباصي، المعجم الاقتصادي الإسلامي، دار الجيل، 1981.

21. إدريس بن مصطفى، العلاقات السياسية الاقتصادية لدول المغرب الإسلامي مع دول جون غرب أوروبا (7-10ه/13-16م)، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2014.

22. بكوش المولودة، قيشوش نصيرة، الحرف التقليدية الفنية في الجزائر- النسيج أنموذجا، جامعة معسكر، 2000، ص02.

23. بلبشير عمر، جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعي والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن (06-09ه/12-15م).

24. بلبشير عمر، مساهمة النشاط بالصناعي والحرفي في المغرب الإسلامي، مخبر البحوث التاريخية والاجتماعية، العدد 04، 2013.

25. بوتشيش إبراهيم القادري، المجال الحرفي بالمغرب خلال العصر المرابطي دراسات تاريخية، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات، العدد03، جامعة مولاي اسماعيل، مكناس، المغرب، 2014.

26. تواتية بودالية، الانتماء الحرفي لأهل الصناعات في المغرب الأوسط، العدد4، جامعة معسكر، 2013.

27. جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، د س.

28. حاج عبد القادر يخلف، التوزيع الجغرافي للمعادن في المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران أحمد بن بلة، د س.

29. خديجة بورملة، الحياة الاقتصادية في المغرب الأوسط من خلال الكليات الجغرافية، قسم التاريخ وعلم الآثار، دورية كان، العدد 34، جامعة وهران، 2016.

30. دلال لواتي، عاصمة القيروان في عصر الأغالبة، الرؤية للتوزيع والنشر، ط1، القاهرة، 2015.

31. روبي مصدق، الحرف والصنائع في المغرب الأوسط على عهد المماليك الوطنية، مخبر البحوث الاجتماعية التاريخية، العدد4، 2013.

32. سعيدة العوني، الزهرة العوني، الحرف والصناعات في بلاد المغرب الإسلامي من خلال كتاب الأنيس لابن أبي الزرع الفاسي (ق8ه-14م)، جامعة الوادي، 2020.

33. سليم أبو طالب سليم، أثر المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية على الفكر الإسلامي، ط1، مكتبة مطبعة الإشعاع الفنية للنشر، مصر، 1999.

34. صباح إبراهيم سعيد الشيخلي، الأصناف والمهن في العصر العباسي نشأتها وتطورها، بحث في التنظيمات الحرفية في المجتمع العربي الإسلامي، الفوات للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

35. ظاهر خير الله الشويري، الحرف وتوابعها، العدد1، 1904.

36. عبد الرحمن بن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، لبنان، 1979.

37. عبد الرحمن شعشي، النخبة مقاربة في المفهوم، كلية العلوم الاقتصادية والاجتماعية، د ط، جامعة الحسن الاول، سطان، د س.

38. عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.

39. عبد الله شريط، نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون في الاجتماع والسياسة والثقافة، المؤسسة الوطنية للكتاب، بالجزائر، 1984.

40. عبد الواحد ذكوك، أبحاث في تاريخ المغرب والأندلس وصور من التواصل الحضاري مع المشرق، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2014.

41. عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في الغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 2003.

42. عصمت عبد الحميد دندش، الأندلس في عصر المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني (510-546ه/1116-1151م)، تاريخ سياسي وحضارة، دار الغرب الإسلامي للنشر، جامعة محمد السادس، المغرب الأقصى.

43. علوى مصطفى، الأحوال الاقتصادية للمغرب الأوسط من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين المغاربة ما بين القرنين (7-8ه/13-15م)، الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة طاهري محمد، بشار.

44. علي اوعليل، الخطاب التاريخي، دار التنوير للطباعة والنشر والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1985.

45. علي بن محمد بن مسعود الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، تح: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.

46. فهمي سعد، العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجري، دراسة في التاريخ الاجتماعي، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1993.

47. فيروز عثمان صالح، منهج الكتابة التاريخية عند ابن خلدون، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، 24 ديسمبر 2006، جامعة الخرطوم.

48. قسطاس عبد الستار حميد، أرباب المهن والحرف في المجتمع الأندلسي خلال عصري الإمارة والخلافة (138-422ه/755-1030م)، كلية التربية للبنات، جامعة البصرة.

49. كريم دهماوي، بودالي يحياوي، الحرف والصنائع في تلمسان من خلال كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد لحي ابن خلدون، جامعة سعيدة، 2016.

50. لخضر بلعربي، الحرف وتنظيماتها في مدينة تلمسان الزيانية، العدد الرابع، 2013.

51. مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج5، مؤسسة مطبوعاتي اسماعليان للنشر.

52. محمد بوشناق، مقومات النشا الحرفي وتنظيمه في عهد الرستميين (160-296ه/777-909م)، العدد الرابع، جامعة سيدي بلعباس، 2013.

53. محمد لطفي جمعة، تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات للنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1927.

54. محمدي خميس الزوكه، جغرافية العالم الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، 2000.

55. محمود هدية، اقتصاد بالنسيج في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوي سي أي سي للنشر، المملكة المتحدة، 2017، ص71.

56. مريم بوقري، اقتصاد المغرب الأوسط في القرنين 4-5ه/10-11م، إشراف هارون فاطمة، جامعة أكلي محند الحاج، البويرة، 2019.

57. مولاي الحسن مغار، الحرف في الفكر والتاريخ بمجال المغرب الأقصى خلال العهد المريني، منشورات مركز تافيلالت للدراسات والتنمية والأبحاث التراثية، ط1، باب الخلق، القاهرة، 2018.

58. هدى محمدي السيد عبد الفتاح، معجم مصطلحات الحرف والفنون في كتاب تخريج الدلالات السمعية، ط1، بلنسية للنشر والتوزيع، 2008.

59. هشام المتوكل، عبد الرحيم الكوش، أثر الحرف التقليدية في تطور إنتاج الأسلحة بالمغرب خلال العصر الوسيط، المملكة المغربية، المجلد 03.

- المجلات والدوريات:

60. إيمان عبان، بلاد المغرب ثقبل الفتح الاسلامي، مجلة العلوم الإنسانية، المركز الجامعي علي كافي، المجلد5، العدد1، تندوف، 2022.

61. حدادي وليدة، النخبة المثقفة وإشكالية المفهوم، مجلة آفاق فكرية، المجلد5، العدد10، 2019.

62. عبد الحليم عويس، الحرف والصناعات في عصر الرسول (ص)، مجلة قصبة الإسلام، إشراف راغب السرحاني، 2019، د ب.

63. عبد السلام همال، "موقف إخوان الصفا من الحرف والصنائع"، مجلة البحوث التاريخية، المجلد4، العدد1، جامعة المسيلة، الجزائر، 2010.

64. عبد المصطفى بن محمد بن عبد المعطي سمسم، المنظور الاقتصادي والاجتماعي للحرف والصناعات بمكة قبل البعثة من خلال كتاب الفاكهي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد 26، جامعة أم القرى، بابل، 2016.

65. عبد المعطي بن محمد بن محمد المعطي سمسم، المنظور الاجتماعي والاقتصادي للحرف والصناعات بمكة قبل البعثة من خلال كتاب الفاكهي، مجلة كلية التربية الإسلامية للعلوم التربوية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، بابل، العدد 26، 2016.

66. كريم عاتي لميس الخزاعي، حارث علي عبد الله، أنواع الحرف في بلاد المغرب من خلال المعيار المعرب للونشريسي (ت 914ه-1509م)، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد 44، 2015.

67. لخضر العربي، محمد بن معمر، موارد الصناعة الحرفية في المغرب الأوسط ما بين القرنين (6-9ه/12-15م)، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مجلد9، العدد1، جامعة وهران1، 2018.

68. نافذ سويد، الحرفيون ودورهم التاريخي في تطور المدنية العربيّة الإسلامية، مجلة التراث بالعربي، دمشق، العدد76، 1999.

- مذكرات تخرج:

69. أكرم علي محمد اوالسعيد، المهن والحرف والصناعات في الأندلس، مذكرة ماجستير، قسم التراث الفكري، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، بغداد، 2013.

70. إلهام قاتل، النخبة العاملة في المغرب الأوسط (ق7-9ه/13-15م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة محمد بوضياف، المسيل، الجزائر، 2018.

71. بتقة مرزوق، الحرف والصناعات التقليدية بمنطقة الحضنة، دراسة أثرية فنية، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2014.

72. جهاد غالب مصطفى الزغلول، الحرف والصناعات منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، رسالة ماجستير في التاريخ، الجامعة الأردنية، 1994.

73. رحالي محمد، النخبة السياسية المحلية ومسألة التنمية، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية، دراسة حالة المجلس الشعبي الولائي لولاية سيدي بلعباس، جامعة وهران، 2013.

74. رويصات سارة، رحماني جميلة، الحرف والصناعات بالمغرب الأوسط خلال العهد الرستمي (161-297ه/777-909م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2021.

75. عائشة غطاس، الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر (1700-1830م)، دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2001.

76. لخضر العربي، الحرف في تلمسان على العهد الزياني، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة معسكر، الجزائر، 2001.

77. مرسلي عائشة، الحرف والصنائع في فاس في العهد المريني (668-869ه/1269-1495م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة سعيدة، 2017-2018.

78. مريم بوخاوش، مواقف ابن خلدون التاريخية من دول الغرب الإسلامي من منتصف القرن الثاني إلى منتصف القرن الرابع الهجري، مذكرة ماجستير في تاريخ المشرق والغرب في العصر الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2009.

الملاحـــق

الملحق رقم 01 أدوات القياس والقص

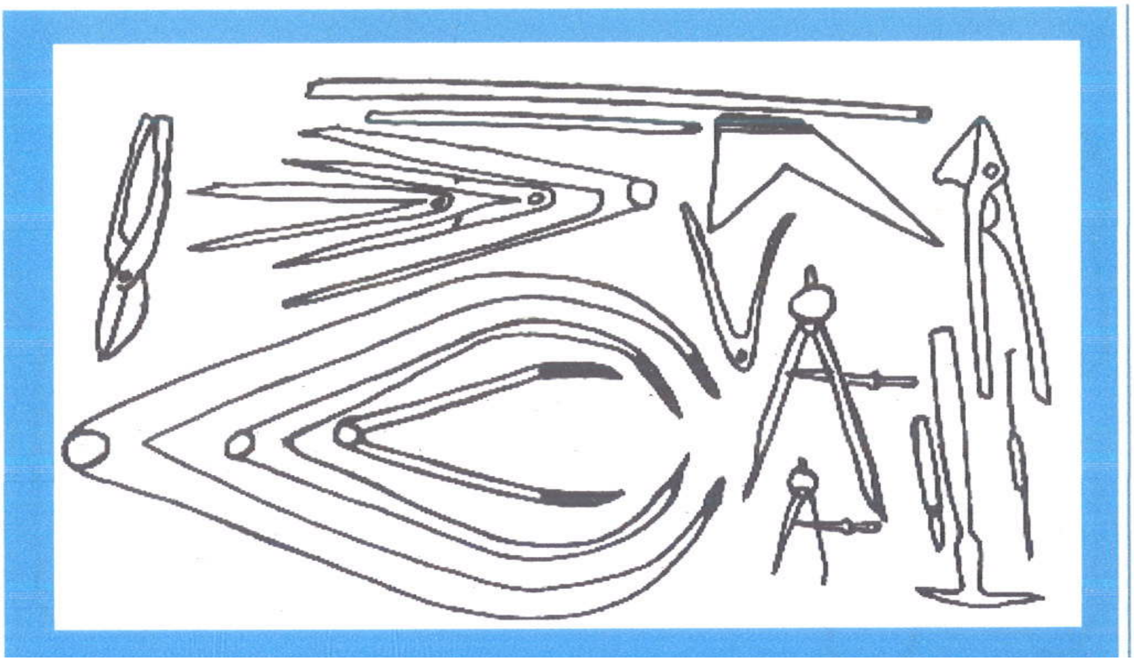

الملحق رقم 02 نموذج إزميل النقش على النحاس

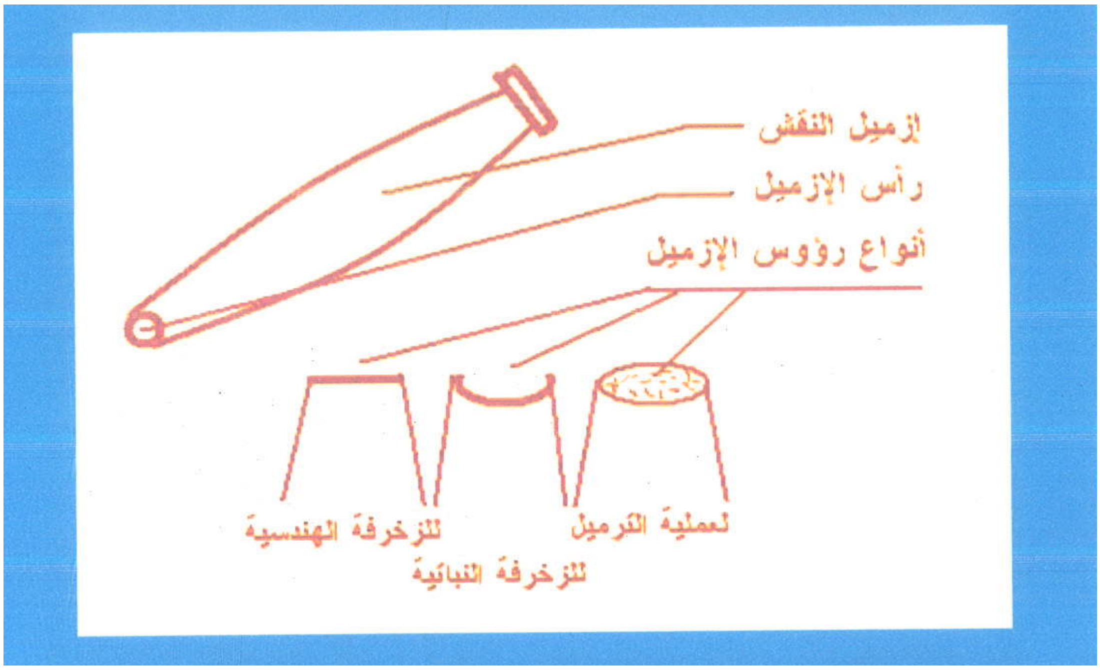

الملحق رقم 03: صورة لزربية

الملحق رقم 04: آثار فخارية

آثار عثر عليها خلال حفريات بأقادير

قطع خزفية مزركشة بأشرطة ذات خطوط متوازية

قطع خزف منقوشة

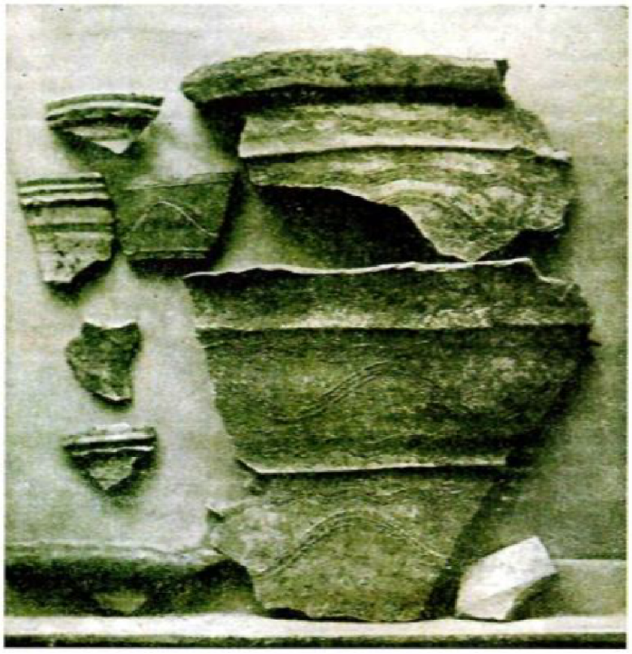

قطع خزفية مطبوعة

نماذج من فوانيس

قطع اعناق اواني وقوارير خزفية

اناء صغير على شكل سلحفاة

وثيقة إيداع مذكرة الماستر

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People'sDemocraticRepublic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

وثيقة إيداع مذكرة ماستر

الموضوع: الحرف والصنائع في الغرب الإسلامي أثناء العصر الوسيط من منظور النخبة.

إعداد الطلبة:
-1 بوقرة ربيعة رقم التسجيل: 20044026719
-2 .... رقم التسجيل: ....

القسم: علوم إنسانية واجتماعية الشعبة: تاريخ التخصص: الغرب الإسلامي في العصر الوسيط
إشراف: جمال عبد السلام الرتبة: أستاذ التعليم العالي

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2021-2022 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة والتقييم.

موافقة وإمضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة): أ. د. عبد السلام جمال

رئيس فريق الاختصاص

رئيس القسم
د/ بوعزيز عبد المالك

لتحميل الوثيقة يرجى نسخ الرمز

Web site :http://virtuelcampus.univ-msila.dz/facshs/ :الموقع الالكتروني
Face book : https://www.facebook.com/FshsUnivMsila/ :الفايسبوك
Tél / Fax : + 213 35 35 3044 :هاتف/ فاكس

وثيقة تصريح شرفي خاص بالنزاهة العلمية

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People'sDemocraticRepublic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: /2022

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضى ادناه :

السيد(ة): بوقرة ربيعة

الصفة(طالب، استاذ باحث، باحث دائم): طالبة

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 100148218

الصادرة بتاريخ : 2016/03/22 عن دائرة : رأس العيون

المسجل بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ إسلامي في العصر الوسيط تحت رقم التسجيل: 20044026719

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، اطروحة دكتوراه).

عنوانها: الحرف والصنائع في الغرب الإسلامي أثناء العصر الوسيط من منظور النخبة.

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 06 جوان 2022

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرارالوزاري رقم 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

الإهداء

مقدمة..أ-هـ

الفصل التمهيدي

الحرف والصنائع، والنخبة (المصطلح والدلالة)، النشأة والإنتماء

المبحث الأول: تعريف الحرفة 09

المبحث الثاني: تعريف الصناعة 14

المبحث الثالث: النخبة 19

الفصل الأول

الحرف والصنائع في الغرب الإسلامي

المبحث الأول: النظرة الإسلامية للحرف والصنائع 27

1- موقف القرآن الكريم 28

2- موقف السنة (الأحاديث النبوية) 28

المبحث الثاني: الحرف والصنائع في مصنفات كتب الغرب الإسلامي (ابن خلدون نموذجا) 38

1- التعريف بابن خلدون.. 38

2- أنواع الحرف والصنائع.. 42

المبحث الثالث: المقومات الحرفية والصناعية بالغرب الإسلامي..................... 50

1- الأيدي العاملة 50

2- المواد المعدنية والنباتية 51

3- المواد النباتية والحيوانية 58

4- معادن أخرى 63

الفصل الثاني

الحرف والصنائع ومكانتها لدى النخبة

المبحث الأول: نظرة الفقهاء إلى الحرف والصنائع في الغرب الإسلامي 67

المبحث الثاني: نظرة المتصوفة إلى الحرف والصنائع في الغرب الإسلامي..... 74

المبحث الثالث: الحرف والصنائع ومكانتها لدى الأدباء والمفكرين والمؤرخين 77

1- الأدباء والمفكرين 77

2- المؤرخون 81

خاتمة 84

قائمة المصادر والمرجع 87

الملاحق..... 96

فهرس المحتويات

ملخص الدراسة.

ملخص:

أن موضوع الحرف والصنائع جدير بالدراسة من الأعمال الإنسانية العريقة التي ارتبط ظهورها بظهور الإنسان وحاجته الى العمل، ودراستها في الغرب الإسلامي تعد ثراء مهما لتاريخ المنطقة كظاهرة اقتصادية واجتماعية، فهي توفر لنا معلومات مهمة ليس فقط عن الجانب الاقتصادي، بل تعداه الى جوانب أخرى، الى جانب الدور الهائل الذي لعبته الحرف في ازدهار العمران وتوفير اليد العاملة لعدد كبير من ساكنة في شتى حواضر الغرب الإسلامي الى جانب دورهم السياسي والعسكري، حيث كانت الحاجة ماسة الى هذه الفئة من فئات المجتمع، وحتى مدى تأثيرهم في الجوانب الفكرية وغيرها.

وكان للتطور الحاصل في بلاد الغرب الإسلامي، وكذا توفر المواد الأولية المتنوعة والمتعددة في مختلف حواضر الغرب الإسلامي، إذ كانت تلك المواد الخام متوفرة بين الأنهار والجبال،.. وساعدت بدورها في تنوع الصنائع والحرف منها الصناعات الضرورية للمجتمع كالزراعة والحياكة والبناء.. والصنائع المكملة كالنسيج والخياطة، هذا حسب فائدتها، وحسب موضعها كالصنائع الجسمانية، والحرف اليدوية.. وغيرها.

وعلى الرغم من إن ديننا الإسلامي الحنيف كان ومازال يحث على الحرف والصنائع من خلال مختلف الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، واختلفت مواقف ونظرة النخبة من الحرف والصنائع في الغرب الإسلامي، بين الاحترام والتقديس أحيانا، وأحيانا أخرى بنظرة ازدراء واحتقار خاصة تلك الحرف التي كانت مضرة بالساكنة، لكن مع مرور الزمن تغيرت تلك النظرة بالدعوة الى العمل وممارسة الحرف والمهن المختلفة وأصبح لهؤلاء الحرفيين والصناع مكانة مرموقة وبرز شأنهم اكبر_خاصة بعد تطور الحرف وازدهارها_ في المجتمع، وأصبح لكل حرفة مكان مخصص في الأسواق والساحات.

الكلمات المفتاحية: الحرف، النسيج، الغرب الإسلامي، الصنائع، النخبة..

Résumé

The subject of crafts and is worthy of study from the ancient human works whose appearance was linked to the appearance of man and his need for work, and studying them in the Islamic West is an important richness for the history of the region as an economic and social phenomenon. In addition to the huge role that crafts played in the prosperity of urbanization and the provision of labor for a large number of residents in various cities of the Islamic West, in addition to their political and military role, where the need for this category of society was urgent, and even the extent of their influence on intellectual and other aspects.

The development that was in the countries of the Islamic West, As well as the availability of various and multiple raw materials in the various cities of the Islamic West, as these raw materials were available between rivers and mountains,... and in turn helped in the diversification of trades and crafts, including industries necessary for society such as agriculture, knitting and construction... and complementary trades such as weaving and sewing, according to their usefulness, and according to Their position is like physical crafts, handicrafts.. . and others.as well as the availability of various and varied raw materials in the various cities of the Islamic West, as these raw materials were available between rivers and mountains,... and in turn helped in the diversification of trades and crafts, including industries necessary for society such as agriculture, weaving and construction... and handicrafts Complementary items such as weaving and sewing, this is according to its usefulne ss, and according to its location, such as physical crafts, handicrafts... and others.

Although our true Islamic religion was and still urges crafts through various Qur'anic verses and prophetic hadiths, and the attitudes and views of the elite of crafts and trades in the Islamic West differed, sometimes between respect and reverence, and sometimes with a look of contempt and contempt, especially those crafts that were harmful to the population, but With the passage of time, that view changed with the call to work and the practice of different crafts. These craftsmen and makers had a prominent position, and their status became more prominent, especially after the development of crafts and their prosperity in society, and each craft had a designated place in the markets and squares.

***Keywords**: crafts, weaving, the Islamic West, crafts, elite..*